

لأَرْوَحُ عَاقِلٍ  
فِي  
الْمَوْتِ

الجية ناصيف

لأزرق عما قبل

في

الجية

وقل أزر الجية

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل  
الطبعة الأولى  
م ١٤١٥ - هـ ١٩٩٥

## المقدمة

خرجنا في هذه السلسة من «أروع ما قيل» عن فنون الأدب وأغراضه مرتين. أولاهما حين خصصنا كتاباً لأروع ما قيل في الزواج، وثانيتها في هذا الكتاب الذي خصصناه لأروع ما قيل في الموت.

ورب سائل يسأل: لماذا خصصنا هذين الموضوعين دون غيرهما بكتابين مستقلين؟ والجواب أنهما أهم حديثين يتعرض لهما الإنسان في حياته، وكلاهما بداية ونهاية، ولكل منهما علائق وشبيحة بالدين، والمجتمع، والتجربة الإنسانية على مدى العصور وفي مختلف المجتمعات.

والناظر في الكتابين يرى أننا نؤعنا فصولهما ما أمكننا ذلك، فمن الدين ثُنف، ومن الأمثال أخرى، ومن الحكمة طاقة ثالثة، إلى ما استطعنا الوصول إليه من طرائف، ونوادر، وكل ما فيه حكمة، أو موعظة، أو نادرة، أو خبر طريف، أو ما يدعو إلى إعمال العقل فيه، أو نحو ذلك.

وليس لنا الفضل في كل ذلك سوى فضل الاختيار، والتنسيق، وقد اقتضى الأول أن أقرأ الكثير من الكتب لكي أعود من قراءتي لها ببعض ما وجدته رائعاً. وقد أكون غير موفق في بعض ما اخترت، أو قد يكون عند بعضهم ليس «أروع ما قيل»، لكنني اجتهدت أن يكون «من أروع ما قيل» إن لم يكن «أروعه»، فإن أصبحت فالخير أردت، وإنما فحسبني أنني حاولت. والله الموفق والمعين.

المؤلف

الباب الأول

من الدين

## **الفصل الأول: من الديانة الإسلامية**

**أولاً: من القرآن الكريم**

**﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ﴾.**

(الأنبياء : ٣٥)

\* \* \*

**﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.**

(النحل : ٦١)

\* \* \*

**﴿أَيَّنَا تَكُونُوا يَذْرِئُكُمُ الْمَوْتُ﴾.**

(النساء : ٧٨)

\* \* \*

**﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.**

(لقمان : ٣٤)

\* \* \*

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِكُمْ﴾.

(الجمعة : ٨)

\* \* \*

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوَ، وَلِلدارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

(الأنعام : ٣٢)

\* \* \*

﴿الَّذِينَ يَسْتَحْبِطُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَيَصْدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَبْغُونَهَا عَوْجًا، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

(إِبراهِيم : ٣)

\* \* \*

﴿يَا قَوْمَ، إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

(غافر : ٣٩)

\* \* \*

## ثانياً: من أقوال النبي محمد (ص)

«لا يَتَمَنِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيهِ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرًا إِلَّا خَيْرًا».

النبي محمد (ص)

\* \* \*

«إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَشَطِّرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَضْبَخْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

النبي محمد (ص)

\* \* \*

«لا يَتَمَنِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرِّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَخِينِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ حَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاءُ حَيْرًا لِي».

النبي محمد (ص)

\* \* \*

«لا يَتَمَنِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُخْسِنًا فَلَعْلَهُ يَزِدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعْلَهُ يَسْتَغْتَبُ».

النبي محمد (ص)

\* \* \*

«يُبَعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

النبي محمد (ص)

\* \* \*

«كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَايِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَتَمَّ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمُنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَيْمَرِ».

النبي محمد ﷺ

\* \* \*

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنْكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٌ».

النبي محمد ﷺ

\* \* \*

«مَا رَأَيْتُ مِنْظَرًا فَظِيعًا إِلَّا وَالْمَوْتُ أَفَطَعُ مِنْهُ».

النبي محمد ﷺ

\* \* \*

## **الفصل الثاني: من الديانة المسيحية**

الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع الحبة من الحنطة في الأرض  
وتمث تبق وحدها، وإذا ماتت أخرجت حبّا كثيرا.

(يوحنا ١٢ : ٢٤)

\* \* \*

طوبى للأموات الذين يموتون في رضا ربّ! يقول الروح:  
فليستريحوا منذ اليوم من المتابع، لأنّ أعمالهم تصجّبهم.

(رؤيا يوحنا ١٤ : ١٣)

\* \* \*

دع الموتى يدفنون موتاهم.

(متى ٨ : ٢٢)

\* \* \*

إنّ أجرة الخطيئة هي الموت.

(رسالة بولس إلى رومة ٦ : ٢٣)

\* \* \*

لا تشمّت بموت أحد، إنّا بأجمعنا نموت.

(ابن سيراخ ٨ : ٨)

\* \* \*

## **الفصل الثالث: من الديانات الهندية**

لا عاصم للإنسان من الموت حتى ولو اتخذ السماء أو البحر أو  
كهوف الجبال أو أية بقعة من الدنيا ملجأ له .  
(من أقوال الداما يادا)

\* \* \*

كما يسوق راعي البقر قطيعه إلى اصطبل ، فكذلك تسوق الشيخوخة  
والموت الأحياء .

(من أقوال الداما يادا)

\* \* \*

يحيق الموت بالواحد ويجرفه كما يجرف الطوفان النائم .

(من أقوال الداما يادا)

\* \* \*

إذا حانت منية الإنسان فلن يعني عنه أولاده ولا أبوه ولا الأقربون .

(من أقوال الداما يادا)

\* \* \*

كما يبكي الأطفال عبئاً للحصول على القمر ، كذلك يبكي الأحياء

على الأموات.

(من كتاب الجنائس)

\* \* \*

على الناس أن يستقبلوا الموت بسرور استقبالهم عيد منتصف الشهر.

(من كتاب الجنائس)

\* \* \*

عندما يُشرف العصفور على الموت تصبح زقزقته حزينة، وعندما يشرف الإنسان على الموت ترثي أقواله طابع الفضيلة.

(من الديانة الكونفوشيوسية)

\* \* \*

إنني لأعلم علم اليقين أنّ الموت لن يخطئني.

(من أقوال الجنائس)

\* \* \*

إذا جاء الموت بعد الظهر فإنّ البرء قد يأتي في المساء، وإذا جاء الموت في المساء فقد يأتي البرء في الصباح.

(من الزرادشتية)

\* \* \*

كيف نفهم الموتى ونحن لا نعلم عن الحياة إلا يسيراً.

(من الكونفوشيوسية)

\* \* \*

## الباب الثاني

# من الأمثال

## الفصل الأول: من الأمثال العربية

- الموت في الجماعة طيب.

\* \* \*

- ليس حي على الزمان بباق.

\* \* \*

- موت الحرّة خير من العرّة.

\* \* \*

- الموت حوض مورود.

\* \* \*

- الموت ريحانة المؤمن.

(النبي محمد ﷺ، وأصبح هذا القول مثلاً عربياً)

\* \* \*

- الموت السجيح<sup>(١)</sup> خير من الحياة الذميمة.

\* \* \*

---

(١) السجيح: السهل، الهين واللين.

- الموت الفادح خير من العي (أو: العيش) الفاضح.

\* \* \*

- موت في قوت وعز أصلح من حياة في ذلل وعجز.

\* \* \*

- احرص على الموت توهب لك الحياة.

\* \* \*

- ذكر الموت جلاء القلوب.

\* \* \*

- كفى بالموت نأيا واغترابا.

\* \* \*

## **الفصل الثاني: من الأمثال العالمية**

الموت يهزاً بالطبيب.

مثل إنكليزي

\* \* \*

تستمد الحياة قيمتها من الموت.

مثل هندي

\* \* \*

الموت هو المسؤول الكبير بين الناس.

مثل إنكليزي

\* \* \*

الموت والقبر لا يميزان بين الأشخاص.

مثل إنكليزي

\* \* \*

- الموت أكبر من أي جبل، وأصغر من أي شعرة في آن معاً.

مثل ياباني

\* \* \*

- البحث عن بلاد ليس فيها أضحة، يؤدي إلى بلاد أكلة لحوم البشر.

مثل ماغاشي

\* \* \*

- الموت جمل يركع أمام كل الأبواب.

مثل تركي

\* \* \*

- الموت هو صديق المشرف على الموت.

مثل دانمركي

\* \* \*

- الموت هو أمام عيني الشيخ، أما الشاب فالموت خلفه.

مثل أستوني

\* \* \*

- الموت لا ينظر مطلقاً إلى الإنسان

مثل ليتواني

\* \* \*

- الميت يقول إنه ذاهب لعد النجوم، وإنه سيعود بعد أن يعودها جميعاً.

مثل تاهيتي

\* \* \*

## الفصل الثالث: من الأمثال اللبنانيّة

- أكثر من الموت شو في؟
- ألف عيشة بالكدر، ولا نومة تحت الحجر.
- ألف كلمة جبان، ولا كلمة الله يرحمو.
- الله عطى، والله أخذ.
- الي يتاجر بالروح، لا يكون نواح.
- الي بتجي ورقو، بروح غصب عن رقبتو.
- الي بموت، واللي بفوت، شيئاً من راسك.
- أمر (أو: شر) من الموت انتظارو.
- بين الستين والسبعين هلاكبني آدمين.
- تعددت الأسباب والموت واحد.
- الجنازة حامية، والميت كلب.
- حب الموت (أو: الشر) غيرك بيكرهو.
- خلصوا زيتاتو.
- رب الموت خاف من الموت.
- رينا ما ساوانا إلا بالموت.

- شو بيتفع البكي بعد ما حملوه للمقبرة؟
- شو الموت نَعْس؟
- قيمة الميت دفنوا.
- كاس دايرع الجميع.
- ما حدا بموت إلا تتجي ساعتو.
- ما في علة إلها دوا، إلا علة الموت ما إلها دوا.
- ما كل من عاش يُحمد، ولا كل من مات يُفقد.
- ما مِيت ما شفِت مين مات؟
- مات محمد وما تعطّلت إمتو.
- الموت أقرب من الحاجب للعين.
- الموت بساوي بين الجميع.
- الموت عَ الكترة حِلو.
- الموت فجي، والسعادة منين تجي؟
- موت الفقر، وتعريضة الكبير ما حدا بيعرف فيُن.
- الموت ما بيرحم حدا.
- الموت ما في شماتة.

\* \* \*

الباب الثالث

## من الحكمة

## **الفصل الأول: من أقوال الحكماء العرب**

- الموت باب الآخرة.

الحسين بن علي

\* \* \*

- لا ينجو من الموت من خافه، ولا يعطي البقاء من أحبه.

الإمام علي

\* \* \*

- موت الصالح راحة لنفسه، وموت الطالع راحة للناس.

الإمام علي

\* \* \*

- استهينوا بالموت، فإنّ مرارته في حوفه.

الإمام علي

\* \* \*

- عش ما شئت فأنّت ميت، وأحبب من شئت فأنت مفارقه، واعمل ما شئت فأنت مجزي به.

الإمام الغزالى

\* \* \*

- احرض على الموت توهب لك الحياة.

**أبو بكر الصديق**

\* \* \*

- الموت أهون ما بعده وأشد ما قبله.

**أبو بكر الصديق**

\* \* \*

. نسيان الموت صدأ القلب.

**الإمام علي**

\* \* \*

- إن الموت فضح الدنيا.

**الحسن بن علي**

\* \* \*

- نعم نصيحة القلب ذكر الموت، يطرد فضول الأمل، ويكتف غرب المني، ويهون المصائب، ويحول بين القلب والطغيان.

**عبد الجهني**

\* \* \*

- ما دَخَلَ ذِكْرُ الموت بيَّا إِلَّا رضيَ أهله بما قسم الله لهم، وجدوا في أمر آخرتهم.

\* \* \*

- أبلغ العظات النظر إلى محل الأموات، ومصارع البنين والبنات.

\* \* \*

- قال الحسن بن علي وقد قعد عند رأس ميت:  
إِنَّ امْرًا هَذَا آخِرَه لِأَهْل أَن يَزْهُد فِيمَا قَبْلَهُ، وَإِنَّ امْرًا هَذَا أَوْلَه لِأَهْل أَن  
يَحْذِر مَا بَعْدَهُ.

\* \* \*

- يا ابن آدم، إِنْ جَوَارِحَك سَلاَحُ الله عَلَيْكَ بِأَيِّهَا شَاءَ قَتْلُكَ.

\* \* \*

- من كان حياته بنفسه يكن مماته بذهب روحه، فتصعب عليه،  
ومن كان حياته بربه، فإنه يتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل، وهي  
الحياة على الحقيقة.

\* \* \*

- أرى داعي الموت لا يقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقي  
فإليه ينزع.

عبدالله بن شداد

\* \* \*

- يا ابن آدم، إِنَّمَا أَنْتَ عَدْدٌ، فَإِذَا مَضَى يَوْمُكَ فَقَدْ مَضَى بَعْضُكَ.

الحسن بن علي

\* \* \*

- من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسir، ومن علم أنَّ الكلام عمل  
فَلَّ كلامه إِلَّا فيما ينفع.

عمر بن عبد العزيز

\* \* \*

- قال رجل للحسن بن علي: مات فلان فجأة، فقال: لو لم يمت فجأة لمرض فجأة ثم مات.

العقد الفريد

\* \* \*

- كان أبو الدرداء إذا رأى جنازة قال: اغدي فإننا رائحون، أو روحى فإننا غادون.

العقد الفريد

\* \* \*

## **الفصل الثاني: من أقوال الحكماء الأجانب**

- اثنان لا يغيران رأيهما أبداً: الجاهل والموت.

لوك

\* \* \*

- إن الرجل الذي ليس في روحه استعداد للموت بشرف في سبيل أمر جليل لا يحق له أن يعيش في الحياة.

مارتن

\* \* \*

- الموت خير من المذلة.

سفوكليس

\* \* \*

- الخوف من الموت شرّ من الموت.

بيليوس

\* \* \*

- عندما تمزح العجوز تغازل الموت.

بوليو سيروس

\* \* \*

- يجب أن يبكي الإنسان عند ولادته، وليس عند وفاته.

مونتسكيو

\* \* \*

- ينبغي للحكيم أن يغادر هذه الدنيا بالقدر نفسه من الحشمة الذي يغادر به الوليمة.

ديموفيلوس (القرن السادس ق.م.)

\* \* \*

- الموت المتوقع هو أبغض أنواع الميتات.

باكليدس الخيوسي (القرن الخامس ق.م.)

\* \* \*

- كل شيء من التراب وإلى التراب يعود.

ميناندر (القرن الرابع ق.م.)

\* \* \*

- المصيبة أن تبقى سنابل القمح بلا حصاد، وكذلك المصيبة ألا يموت البشر.

إيكتيتوس (مطلع القرن الثاني)

\* \* \*

- الموت خير كبير ما دام ليس شرًا.

بوبليليوس سيروس (القرن الأول ق.م.)

\* \* \*

- إنّه لمن السعادة أن يموت المرء قبل أن يتسلّل العون من الموت.

بويليليوس سيروس \* \* \*

- المرء يموت مرتين عندما يموت بإرادة آخر.

بويليليوس سيروس \* \* \*

- الموت يُمسك بمن يفرّ.

هوراس (حوالي السنة ٢٣ ق.م.)

\* \* \*

- الموت يساوي بين كل الحالات.

كلوديانوس (حوالي السنة ٣٩٠)

\* \* \*

- الموت القصير هو الخير الأعظم في الحياة البشرية.

بلينوس الأكبر (حوالي السنة ٧٧)

\* \* \*

- هناك دواء لكل شيء، ما عدا الموت.

بونافتور دي بيرييه (١٥٥٨)

\* \* \*

- ثلاثة تدخل البيوت دونما استذان، الديون، والشيخوخة،  
والموت.

- الحياة العقيمة موت مسيقى.

\* \* \*

- لا الشمس ولا الموت يمكنهما التحديق.

سرفانتيس (١٦١٣)

\* \* \*

- ينبغي عدم تحريك رماد الموتى.

انطونيو بيريز (١٥٩٨)

\* \* \*

- ليس ثمة أي قلعة تحمي من الموت.

ب.ج. مارتين (١٨٥٩)

\* \* \*

- الموت حاصل لا يعرف القيلولة.

سرفانتيس (١٦١٥)

\* \* \*

- هناك أموات يرتحون، وأخرون لا يعرفون الراحة.

بيريز غالدوس (١٩٠٩)

\* \* \*

- للحي أصدقاء قليلون، وليس للميت أحد.

مولينير (١٦٥٣)

\* \* \*

- المرء لا يموت إلا مرة واحدة، وذلك لمدة طويلة.

مولينير (١٦٥٣)

\* \* \*

- الموت لا يفاجئ الحكيم أبداً، فهو مستعد دوماً للرحيل.

لافونتين (١٦٧٨)

\* \* \*

- البشرية تتألف من أموات أكثر منها من أحياء.

أوغست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧)

\* \* \*

- الموت ليس غدرًا.

جول فاليس

\* \* \*

- هناك أموات ينبغي قتلهم.

ف. دينواييه (١٨١٨ - ١٨٦٩)

- حب العمل، الأسرة، الدين، الفن، الوطنية هي كلمات لا معنى لها بالنسبة إلى من يموت جوعاً.

أو. هنري (١٨٦٢ - ١٩١٠)

\* \* \*

- ليس الموت الحقيقة النهائية. إنه يبدو لنا أسود، كما تبدو لنا السماء زرقاء، ولكنه لا يسود الوجود، مثلما لا يلطخ اللازورد السماوي جناحي الطير.

رابندرانات طاغور (١٨٦١ - ١٩٤١)

\*.\*\*

- إن الموت، هو في النهاية، المنتصر الوحيد.

ستالين (١٩٥٣ - ١٨٧٩)

(قول موجه منه إلى الجنرال ديفول)

\* \* \*

- ليس الموت سوى فزاعة.

سocrates (القرن الخامس ق.م.)

\* \* \*

- ليس الموت هو الرهيب، بل الموت المخزي.

إيكتييس (طلع القرن الثاني)

\* \* \*

- البشر يخشون الموت مثلما يخشى الأولاد الظلمات.

فرنسيس بايكون (١٦٠٥)

\* \* \*

- كلما كان الرجل فاضلاً، قل خوفه من الموت.

صمويل جونسون (١٧٧٧ أيلول ١٦)

\* \* \*

- التألم ولا الموت: هؤلا شعار البشر.

لافونتين (١٦٦٨)

\* \* \*

- الخوف من الموت يعني تكريم الحياة كثيراً.

توما جوفروي (١٨٣٦)

\* \* \*

- من يتقبل الموت بسهولة ليس امراً بائساً.

سينيكا (حوالى السنة ٥٥)

\* \* \*

- من يحتقر حياته يكن سيد حياة الآخرين.

سينيكا (حوالى السنة ٦٤)

\* \* \*

- هناك أسباب مختلفة لاحتقار الحياة، ولكن ليس ثمة مبرر لاحتقار الموت.

لاروشفوكو (١٦١٣ - ١٦٨٠)

\* \* \*

- الموتى يذهبون بسرعة.

برغر (١٧٩٤ - ١٧٤٧)

\* \* \*

- الميت منذ ستة أشهر ميت مثل آدم.

هـ.حـ. بون (١٨٥٥)

\* \* \*

### الفصل الثالث: من أقوال الشعراء العرب

ليس من مات فاستراح بميته إئمَّا الميَّت ميَّت الأحياء  
إئمَّا الميَّت من يعيش كثيِّباً كاسفاً باله قليل الرجاء

\* \* \*

كلَّ ابن أنتى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول  
كعب بن زهير

\* \* \*

وما المرء إلا كالهلالٍ وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

\* \* \*

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلَّ تميمة لا تنفع  
أبو ذؤيب الهدلي

\* \* \*

لعمُّك إنَّ الموت ما أخطأ الفتى لـ كالطُّولِ المُرْخَى وثنياه باليدِ  
طرفة بن العبد

\* \* \*

ومن لم يمُّت بالسيف مات بغيره تنوَّعَت الأسبابُ والموت واحدُ

\* \* \*

مشينها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشانا  
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

\* \* \*

إذا لم يكن من الموت بد فمن العار أن تموت جبانا  
المتنبي

\* \* \*

كم مات قوم وما ماتت مكارיהם وعاش قوم وهم في الناس أحيا

\* \* \*

وما المال والأهلون إلا وداع ولا بد يوماً أن تردد الوداع  
لبيد بن ربيعة

\* \* \*

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا وأعيا دواء الموت كل طبيب  
المتنبي

\* \* \*

الموت داء لا دواء له إلا التقوى والعمل الصالح

\* \* \*

للموت فيها سهام وهي صائب وكل نعيم لا محالة زائل  
لبيد بن ربيعة

\* \* \*

ليت شعري فإنني لست أدرى أي يوم يكون آخر عمري  
وبأي البلاد تُقبض روحي وبأي البقاء يُحفر قبري  
أبو العتاهية

\* \* \*

للموت فينا سهام وهي صائبة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

\* \* \*

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي هو قبل الموت بانيها  
الإمام علي بن أبي طالب (حوالي ٦٠٠ - ٦٦١)

\* \* \*

موت التقى حياة لا نفاد لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء

\* \* \*

ولو كان هول الموت لا شيء بعده لهان علينا الأمر واحتقر الأمر  
ولكنه حشر ونشر وجنة ونار وما قد يستطيل به الخبر

\* \* \*

من كان يرجو أن يعيش فإنني أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا  
في الموت ألف فضيلة لو أنها عرفت لكان سبيله أن يعشقا

\* \* \*

والمرء يفرح بالأيام يقطعها وكل يوم مضى يُدْنِي من الأجل

\* \* \*

وأيدي الندى في الصالحين قروض كفى بالموت نأيا واغترابا

\* \* \*

لا تحسين الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال  
كلامها موت، ولكن ذا أفعع من ذاك لذل السؤال

\* \* \*

جزى الله عنا الموت خيرا فإنه أبُر بنا من كل بَر وأرأف  
يعجل تخلص النفوس من الأذى ويلدني من الدار التي هي أشرف

\* \* \*

وإذا كان منتهى العمر موت فسواء طوله والقصير

\* \* \*

الموت باب وكل الناس تدخله يا ليت شعرى بعد الباب ما الدار

\* \* \*

في فرقة الأحباب شغل شاغل والموت صدقًا فرقة الإخوان

\* \* \*

كتب الموت على الخلق فكم فل من جيش وأفني من دول  
ابن الوردي

\* \* \*

لما أتى معاوية بن أبي سفيان موت زياد بن أبيه توجع، ثم قال:

وأفردت سهّما في الكثافة واحداً سيرمى به أو يكسر السهم كاسره

\* \* \*

ومن كان ذا باب شديد وحاجب فعما قليل يهجر الباب حاجبه

\* \* \*

ألا إنما جسمي لروحي مطئة ولا بد يوماً أن يعرى من الرحل  
ابن المعتز

\* \* \*

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يرىء مثله فيما مضى  
هلك المداوي والمداوى والذى جلب الدواء وباعه ومن اشتري

\* \* \*

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئة وذهب  
تملكها الآتي تملّك سالب وفارقتها الماضي فراق سليم  
المتنبي

\* \* \*

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يصير رماداً بعد إذ هو ساطع  
لبيد بن ربيعة

\* \* \*

وأحکم بيت قالته العرب في وصف الموت بيت أمية بن أبي  
الصلت، حيث يقول:

يُوشِكَ مَنْ فَرَّ مِنْ مِنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا  
مَنْ لَمْ يُمْتَ عَبْنَةً يَمْتَ هَرَمَا لِلْمَوْتِ كَأْسَ وَالْمَرْءَ ذَائِقُهَا

\* \* \*

وقال أضيغ بن الفرج : كان بنجران عابدٌ يصيغ في كل يوم صيحتين  
بهذه الأبيات :

قَطَعَ البقاء مَطَالِعَ الشَّمْسِ وَغَدُوها من حيث لا تُمْسي  
وَطَلَوْعُها حمراء قانية وَغَرُوْبُها صفراء كالوزن  
الْيَوْمُ يُخْبِرُ ما يجيء به وَمَضى بِفَضْلِ قَضَائِهِ أَمْسِ

\* \* \*

قال آخر :

رَيَّنتَ بَيْتَكَ جاَهلاً وَعَمَرْتَهُ  
مَنْ كَانَتِ الأَيَّامُ سَائِرَةً بِهِ  
وَالْمَرْءُ مُرْتَهِنٌ بِسَوْفَ وَلَيْتَنِي  
لَهُ دُرُّ فَتَّى تَدَبَّرَ أَمْرَهُ  
وَلَعْلَّ غَيْرَكَ صَاحِبُ الْبَيْتِ  
فَكَانَهُ قد حلَّ بالموت  
وَهَلَائِهِ فِي السُّوفِ وَاللَّيْتِ  
فَعَدَا وَرَاهُ مُبَادِرَ المَوْتِ

\* \* \*

وقال صريح الغواني :

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا  
تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ  
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سُوقَةً قد مَلَكُوا  
قد بَكَوا أَخْبَابَهُمْ ثُمَّ بُكُوا  
وَذُهِمْ لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكُوا

\* \* \*

وقال الصَّلَتان العَبْدِيُّ :

أشاب الصَّغِيرَ وَفَنِي الْكَبِيرُ  
إِذَا لَيْلَةً أَهْرَمْتُ يَوْمَهَا  
أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فَتِي  
نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا  
وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي  
ثَمَوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَتُهُ وَتَبَقَّى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

\* \* \*

وكان سُفيان بن عُيينة يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ:

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمٍ ثُوحُ  
بَيْنَمَا هُنَّ عَلَى الْأَسِرَةِ وَالْأَذَّ  
ثُمَّ عَادُوا مِنْ بَعْدِهَا وَثَمُودُ  
مَاطِ أَفْضَتُ إِلَى التُّرَابِ الْخُدُودُ  
وَصَحِيقُ أَمْسِيٍّ يَعْوُدُ مَرِيضًا  
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثُ وَلَكِنْ وَذَاكَ الْوَعِيدُ

\* \* \*

وقال أبو العتاهية في وَضْفِ الْمَوْتِ:

كَانَ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيتَ عَلَيَا وَقَدْ أَخْرَجْتُ مَا فِي يَدِيَا  
كَانَ قَدْ صِرْتُ مُنْقَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهِنًا هُنَاكَ بِمَا لَدِيَا  
كَانَ الْبَاكِيَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا  
ذَكَرْتُ مَنِيَّتِي فَنَعِيَتْ نَفْسِي أَلَا أَشِعْدُ أَخْيَكَ يَا أَخَيَا

\* \* \*

وقال:

سَتَخْلُقُ جِدَّةً وَتَجُودُ حَالٌ وَعِنْدَ الْحَقِّ تُخْتَبِرُ الرِّجَالُ

وللدنيا وداعٌ في قُلوبِ  
بها جَرَتِ القَطْبِيَّةُ والوَصَالُ  
تَخْوَفُ مَا لَعَلَكَ لَا تَرَاهُ  
وَتَرْجُو مَا لَعَلَكَ لَا تَنَالُ  
وقد طَلَعَ الْهِلَالُ لَهُنْمِ عَمْرِي  
وَأَفْرَحَ كُلُّمَا طَلَعَ الْهِلَالُ

\* \* \*

وله أيضًا:

مَنْ يَعْشُ يَكْبُرُ وَمَنْ يَكْبُرُ يَمْتُ  
نَحْنُ فِي دَارِ بَلَاءٍ وَآذَى  
مَنْزَلٌ مَا يَثْبُتُ الْمَرْءُ بِهِ  
أَيْهَا الْمَغْرُورُ مَا هَذَا الصُّبْرَا  
لَوْ نَهَيْتَ النَّفْسَ عَنْهُ لَا تَهْتَهْ  
رَحِيمُ اللَّهِ أَمْرًا أَنْصَفَ مِنْ  
سَكُثَّ

\* \* \*

وقال ابن عبد ربه:

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِنِيَّةٍ وَظِيرِ  
فِيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ  
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلُّ يَوْمٍ  
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَثَكَ يَوْمًا  
سَتُسْلِبُ كُلُّ مَا جَمَغَتْ مِنْهَا  
وَتَغْتَاضُ الْيَقِينُ مِنْ دَارِ الْغُرُورِ

\* \* \*

ولأبي العتاهية:

وَلِيْس مِنْ مَنْزِلٍ يَأْوِيهِ ذُو نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْلُولٌ

\* \* \*

وله أيضاً:

مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنَ تَحْاوَرَ اللَّهِ عَنْهُ  
كَائِنٌ قَدْ سَقَانَ بِكَأسِهِ حِيثُ كُثُنَ

\* \* \*

وله أيضاً:

أَوْمَلُ أَنْ أَخْلَدَ وَالْمَنَائِا يَشْبَئَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي  
وَمَا أَذْرِي إِذَا أَمْسَيْتُ حَيَا لَعْلَى لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ

\* \* \*

وقال العَزَّالُ:

أَضْبَخْتُ وَاللهِ مَجْهودًا عَلَى أَمْلٍ  
مِنَ الْحَيَاةِ قَصِيرٍ غَيْرِ مُمْتَدٍ  
وَمَا أَفَارَقُ يَوْمًا مِنْ أَفَارِقَهُ  
إِلَّا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخِرَ الْعَهْدِ  
أَنْظُرْ إِلَيَّ إِذَا أَذْرِجْتُ فِي كَفَنِي  
وَأَقْعُدْ قَلِيلًا وَعَالِيًّا مَنْ يُقْيِيمُ مَعِي  
وَهِيَاتٌ كُلُّهُمْ فِي شَأنِهِ لَعِبٌ  
مَنْ يُشَيْعُ تَغْشِي مِنْ ذَوِي وَدِي

\* \* \*

وقال أبو العتاهية:

نَعَى لَكَ ظَلَّ الشَّيَّابُ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِواكَ الْخُطُوبَ

فُكِنْ مُسْتَعِدًا لرَبِّ الْمَئُونِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبٌ  
وَقَبْلَكَ دَاوِي الطَّبِيبُ الْمَرِيضُ فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَماتَ الطَّبِيبُ  
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ

\* \* \*

وقال أبو الأسود الدؤلي:

أَيَّهَا الْأَمْلُ مَا لَيْسَ لَهُ  
رِبٌّ مِنْ بَاتِ يُمَتِّي نَفْسَهُ  
وَالْفَتَى الْمُخْتَالُ فِيمَا نَابَهُ  
قُلْ لَمَنْ مَثَلَ فِي أَشْعَارِهِ  
رِبِّيْمَا غَرَّ سَفِيهَا أَمْلُهُ  
رِبِّيْمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ حِيلَةُ  
يَهْلِكُ الْمَرءَ وَيَبْقَى مَثَلُهُ  
نَافِسُ الْمُخْسَنِ فِي إِحْسَانِهِ فَسَيَكْفِيكَ سَنَاءَ عَمَلُهُ

\* \* \*

**الباب الرابع**

## **عند الاحتفظار**

لَقِيَ أَبُو بَكْرَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَرَأَهُ كَاسِفًا مُتَغَيِّرًا لِوُنُهِ، فَقَالَ: مَا لَيْ  
أَرَاكَ مُتَغَيِّرًا لِوُنُهِ؟ قَالَ: لِكُلِّمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَسْأَلْهُ  
عَنْهَا؛ قَالَ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنِّي أَعْلَمُ كُلْمَةً مَنْ قَالَهَا عِنْدَ  
الْمَوْتِ مَحَصَّتْ دُنْوِيهِ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَيْدِ الْبَحْرِ، فَأَنْسَيْتَ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا.  
قَالَ أَبُو بَكْرَ: أَعْلَمُكُمْهَا، وَهِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

\* \* \*

أَبُو الْجَنَابِ قَالَ: لَمَا أَحْتَضَرَ مُعاذَ قَالَ لِخَادِمِهِ: وَيَحْكِ! هَلْ  
أَضْبَيْخَنَا؟ قَالَتْ: لَا، ثُمَّ تَرَكَهَا سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لَهَا: انْظُرِي، فَقَالَتْ: نَعَمْ؛  
قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صِبَاحٍ إِلَى النَّارِ. ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ، مَرْحَبًا بِزَائِرِ  
جَاءَ عَلَى فَاقَةِ، أَفْلَحَ مِنْ نَدِيمٍ. اللَّهُمَّ إِنِّي تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُحِبَّ البقاءَ فِي الدُّنْيَا  
لِجَزِيِّ الْأَنْهَارِ، وَغَرَسِ الأَشْجَارِ، وَلَكَنْ لِمُكَابِدَةِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَظَمَاءِ  
الْهَوَاجِرِ فِي الْحَرِ الشَّدِيدِ، وَمُزَاحِمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ.

\* \* \*

وَلَمَا حَضَرَتِ الْوَفَاءُ عَمَرَ بْنَ عُثْمَانَ قَالَ لِرَفِيقِهِ: نَزَّلَ بِي الْمَوْتُ وَلَمْ  
أَتَاهُبْ لَهُ. اللَّهُمَّ إِنِّي تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَنَحَ لِي أَمْرَانَ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا رِضَا وَلِي  
فِي الْآخِرَ هَوَى، إِلَّا آتَيْتَ رِضَاكَ عَلَى هَوَايِ.

\* \* \*

ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب: قال لولده عبد الله بن عمر:  
ضع خدي على الأرض عل ربي أن يتغطّف علي ويزحمني.

\* \* \*

قال ابن السمّاك: دخلت على يزيد الرقاشي وهو في الموت، فقال  
لي: سبقني العابدون وقطع بي، والهفاء!

\* \* \*

موسى الأسواري قال: دخلت على أزدا مزد وهو ثقيل فإذا هو  
كالخفّاش<sup>(١)</sup> لم يتق منه إلا رأسه، فقلت له: يا هذا، ما حالك؟ قال: وما  
حال من يريد سفرا بعيداً بغير زاد، وينطلق إلى ملك عدل بغير حجّة،  
ويذخُل قبراً موحشاً بغير مؤنس؟

\* \* \*

قال سocrates لما تجرّع السم:  
اخْلُصْ اَخْلُصْ يَا كَثِيفْ، وَاصْبُدْ يَا مِنْ لَمْ يَقْبَلْ الْأَدَنَاسْ.

\* \* \*

وقال كونفوشيوس:  
لقد علمت البشر كيف يعيشون.

\* \* \*

وقال النبي محمد (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):  
بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى.

\* \* \*

---

(١) يشير إلى ضاالته. وفي بعض الأصول: «كالخفاء».

وقال الخليفة عمر بن الخطاب:  
تكللت عمر أمه إن لم يغفر له ربه.

\* \* \*

وقال الإمام علي وقد سأله القوم أن يعظهم، وكان يوجد بنفسه  
الكريمة: يعظكم سكوتى، وخفوت أطرافي.

\* \* \*

وقال المؤمنون:  
يا من لا يموت ارحم من يموت.

\* \* \*

وقال أحد ملوك الفراعنة:  
إنني أستقبل الموت سعيداً مطمئناً لأنني سأتحرر من أعباء الحكم  
والنساء.

\* \* \*

قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك: كيف تَجِدُك يا بُنْيَّ؟ قال:  
أَجِدُنِي في الموت فَاخْتَسِبْنِي، فإن ثواب الله خير لك مثُنِي؛ قال: والله يا  
بُنْيَ لأن تكون في ميزاني أحبت لي من أن أكون في ميزانك؛ قال: وأنا والله  
لأن يكون ما تُحِبُّ إلَيْيَ من أن يكون ما أحِبَّ.

\* \* \*

لما أحضر عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، أستاذن عليه مسلمة بن  
عبد الملك، فأذن له، وأمره أن يُخْفَفَ الوقفة، فلما دخل، وقف عند  
رأسه، فقال: جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً، فلقد أنت لنا قلوبنا

كانت علينا قاسية، وجعلت لنا في الصالحين ذكرًا.

\* \* \*

حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك، قال: كانت فاطمة  
جالسةً عند رسول الله ﷺ: فترا كبت عليه كرب الموت، فرفع رأسه وقال:  
واكرباه! فبكت فاطمة وقالت: وأكرباه لكربلك يا أباها! قال: لا كرب على  
أبيك بعد اليوم.

\* \* \*

وقال شارلمان:  
مولاي أسلمتك روحي، وأوصيك بها.

\* \* \*

وقال الحجاج بن يوسف:  
اللهم اغفر لي.. فإنهم يزعمون أنك لا تغفر لي.

\* \* \*

وقال غوتيه:  
أريد النور.

\* \* \*

وقال هويس:  
سائب وثبة كبرى في سبيل الأبدية.

\* \* \*

وقال ميرابو لخادمه:  
أنسند هذا الرأس، فإنه أقوى رأس في فرنسا.

\* \* \*

وقال «كوزمونكوس»: وهكذا يجب أن نفترق يا جسدي بعد أن  
اتفقنا سنوات طويلة. وإنه لمن المحزن أن تنتهي صحبتنا.

\* \* \*

وقال سعد زغلول: أنا انتهيت.

\* \* \*

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي: إني أمرؤ انتهى فسلام على أولادي  
وأصدقائي.

\* \* \*

قالت عائشة وأبوها أبو بكر الصديق يحتضر:

وأبيض يُنسنقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عضمة للأرامل<sup>(١)</sup>

قالت عائشة: فنظر إلى كالغضبان وقال: ذلك رسول الله ﷺ. ثم  
أغمي عليه، فقالت:

لَعْمُرُكَ مَا يُغْنِي التَّرَاءُ عَنِ الْفَتْيَ إِذَا حَسَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدَرُ<sup>(٢)</sup>

قالت: فنظر إلى كالغضبان وقال لي: قولي: «وجاءت سخرة  
المؤت بالحق ذلك ما كثُر منه تَحِيد»<sup>(٣)</sup>. ثم قال: انظروا ملائتي  
فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت.

\* \* \*

وقال معاوية حين حضرته الوفاة:

أَلَا لَيَتَنِي لَمْ أَغْنَ فِي الْمُلْكِ سَاعَةً    وَلَمْ أَكُ فِي اللَّذَاتِ أَغْشَى النَّواَزِيرِ

(١) البيت من قصيدة لأبي طالب.

(٢) البيت من قصيدة لحاتم بن عبد الله.

(٣) ق: ١٩.

وَكُنْتُ كَذِي طِمْرَنِ عَاش بِلْغَة لِيالِي حَتَى زَار ضَنكَ الْمَقَابِر

\* \* \*

لما ثُقل معاوية ويزيد غائب، أقبل يزيد، فوجد عثمان بن محمد بن سفيانجالسا، فأخذ بيده، ودخل على معاوية، وهو يوجد بنفسه، فكلمه يزيد، فلم يكلمه، فبكى يزيد وتصور<sup>(١)</sup> معاوية ساعة، ثم قال: أيبني، إن أعظم ما أخاف الله فيه ما كنت أصنع لك. يابني، إني خرجت مع رسول الله ﷺ، فكان إذا مضى لحاجته وتوضأ، أصبب الماء على يديه، فنظر إلى قميص لي قد انحرق من عاتقي، فقال لي: يا معاوية: ألا أكسوك قميصا؟ قلت: بل: فكساني قميصا لم ألبسه إلا لبسه واحدة، وهو عندي؛ واجتز ذات يوم فأخذت جزارة شعره وقلامة أظفاره فجعلت ذلك في قارورة، فإذا مت يابني فاغسلني، ثم أجعل ذلك الشعر والأظفار في عيني ومثخري وفمي، ثم أجعل قميص رسول الله ﷺ شغارا<sup>(٢)</sup> من تحت كفني، إن تقع شيء نفع هذا.

\* \* \*

لما احتضر عمرو بن العاص، جمع بنيه فقال: يابني، ما تُغنوون عنّي من أمر الله شيئاً؟ قالوا: يا أباانا، إنه الموت، ولو كان غيره لوقيتك بأنفسنا؛ فقال: أُسندوني، فأسندوه. ثم قال: اللهم إنك أمرتني فلم أتمر، وزجرتني فلم أزدجر، اللهم لا قوي فانتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، أستغفرك وأتوب إليك، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فلم يزل يكررها حتى مات. قال: وأخبرنا رجال من أهل المدينة أن عمرو بن العاص قال لبنيه عند موته: إني لست في الشرك الذي لو مات عليه أدخلت النار، ولا في الإسلام الذي لو مات عليه أدخلت

(١) تصور: تلوى من الوجه.

(٢) الشغار: ما يلبس فوق الجسد مباشرةً.

الجنة، فمهما قَصَرْتُ فيه فإِنِّي مُسْتَمِسِكُ بلا إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ، وَقَبَضَ عَلَيْهَا يَدِهِ،  
وَقَبَضَ لَوْقَتِهِ. فَكَانَتْ يَدِهِ تُفْتَحُ، ثُمَّ تُشْرِكُ فَتَقْبَضُنَّ. وَقَالَ لَيْبِيَهُ : إِنَّ أَنَا مُتُّ  
فَلَا تَبِكُوا عَلَيَّ، وَلَا يَتَبَعَّنِي مَادْخُ ولا نَائِحٌ، وَشُوَّا عَلَيَّ التَّرَابُ شَنَّا، فَلَيْسَ  
جَنْبِي الْأَيْمَنُ أَوْلَى بِالْأَيْسَرِ، وَلَا تَجْعَلُوهُ فِي قَبْرِي خَشِبَةً وَلَا  
حَجَرًا، وَإِذَا وَارَتُمُونِي، فَاقْعُدُوهُ عَنْدَ قَبْرِي قَدْرَ نَخْرِ جَزُورٍ وَتَفَصِّيلُهَا  
أَسْتَأْنِسُ بِكُمْ.

\* \* \*

وقال ويلسون :

أشكر الله على أنني أتممت واجبي .

\* \* \*

وقال وليم هتر :

ليت عندي من القوة ما يمكنني من تحريك القلم، حتى أشرح  
سهولة الموت ولذته .

\* \* \*

وقال إسماعيل صبري :

يَا مَوْتُ حُذْ مَا أَبْ قَتَ الْأَيَامُ وَالسَّاعَاتُ مِنِّي  
بَيْنِي وَبَيْنَكَ خُطْوَةً إِنْ تَخْطُّهَا خَفَّتْ عَنِّي

\* \* \*

وقال شوبان :

أين حبيبي<sup>(1)</sup> لقد وعدتني بأنني سأموت على ذراعيها .

\* \* \*

---

(1) حبيبي هي الكاتبة جورج صاند .

**الباب الخامس**

**عند القبر**

## الفصل الأول: القول عند المقابر

قال بعضهم: خرجنا مع زيد بن عليٍّ ثريد الحجَّ، فلما بَلَغْنَا النَّبَاحَ<sup>(١)</sup>  
وصِرْنَا إِلَى مَقَابِرِهَا التَّفَتْ إِلَيْنَا، فَقَالَ:

لُكْلُ أَنَّاسٌ مَقْبَرٌ بِفَنَائِهِمْ فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ  
فَمَا إِنْ تَزَالُ دَارُ حَيٍّ قَدْ أَخْرِبَتْ وَقَبْرٌ بِأَفْنَاءِ الْبَيْوَتِ جَدِيدٌ  
هُمْ جِرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا مَزَارُهُمْ فَدَانٌ وَأَمَا الْمُلْتَقَى فَبَعِيدٌ

\* \* \*

وقال: مررت ببيزيد الرقاشي وهو جالس بين المدينة والمقدمة، فقلت له: ما أجلسك هنا؟ قال: أنظر إلى هذين العسكرين، فعسكر يقذف الأحياء وعسكر يلتهم الموتى. ثم نادى بأعلى صوته: يا أهل القبور المُوحشة، قد نطق بالخراب فناؤها، ومهد بالثراب بناوها، ف محلها مفترب، وساكنها مفترب، لا يتواصلون تواصل الإخوان، ولا يتزاورون تزاور الجيران، قد طحنتهم بكلكله إلى، وأكلتهم الجنادل والثرى.

\* \* \*

---

(١) النَّبَاح: اسم موضع.

وكان عليٌّ بن أبي طالب إذا دَخَلَ المَقْبِرَةَ قال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوَحِشَةِ، وَالْمَحَالِ الْمُقْفَرَةِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ، وَتَجَاءُزْ بِعْفُوكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ. ثُمَّ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ كِفَائًا<sup>(١)</sup>، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّا خَلَقَنَا وَ[جَعَلَ] إِلَيْهَا مَعَادِنَا، وَعَلَيْهَا مَخْسِرَنَا؛ طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ الْحَسَنَاتَ، وَقَنَعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

\* \* \*

وكان النَّبِيُّ ﷺ إذا دَخَلَ الْمَقْبِرَةَ قال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمَ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ.

\* \* \*

وكان الحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إذا دَخَلَ الْمَقْبِرَةَ قال: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الْأَجْسَادِ الْبَالِيَّةِ، وَالْعِظَامِ التَّخْرِيَّةِ، الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ بِكَ مُؤْمِنَةٌ، أَذْبِلْ عَلَيْهَا رُوْحًا مِنْكَ وَسَلَامًا مِنْكَ.

\* \* \*

وكان عَلَيٌّ بْنُ الْفَضْلِ إذا دَخَلَ الْمَقْبِرَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَجْعَلْ وَفَاتَهُمْ نِجَاءً لَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ، وَاجْعَلْ حِسَابَهُمْ زِيَادَةً لَهُمْ فِيمَا يُحِبُّونَ.

\* \* \*

---

(١) كِفَائًا: ملْجأً وحِرْزاً.

## الفصل الثاني: الوقوف على القبور وتأبين الموتى

وقف أعرابي على قبر رسول الله ﷺ فقال: قلت فَقِيلَنَا، وأمرت فَحَفِظْنَا، وبَلَغَتْ عن رِبِّك فَسَمِعْنَا. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوكَ اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَآءِلًا رَّحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>. وقد ظلمنا أنفسنا وجِئْنَاكَ فاستغفِرْ لنا. فما بقيَتْ عينٌ إلا سالَتْ.

\* \* \*

وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها ﷺ، فقالت:  
إنا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضِ وَابْلُهَا      وَغَابَ مُدْعَبَتْ عَنَّا الْوَحْيُ وَالْكُتُبُ  
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ الْمَوْتُ صَادَفَنَا      لَمَا نَعِيَتْ وَحَالَتْ دُونَكَ الْكُتُبُ

\* \* \*

حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا فَرَغْنَا مِنْ دَفْنِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فاطِمَةٌ فَقَالَتْ: يَا أَنْسَ، كَيْفَ طَابَتْ أَنفُسُكُمْ أَنْ  
تَخْتُنُوا عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التَّرَابَ، ثُمَّ بَكَتْ وَنَادَتْ: يَا أَبْتَاهُ! أَجَابَ  
رَبِّيَا دُعَاهُ، يَا أَبْتَاهُ! مِنْ رَبِّي ما أَدْنَاهُ، يَا أَبْتَاهُ! مَنْ رَبِّي نَادَاهُ، يَا أَبْتَاهُ! إِلَى

(١) النساء: ٦٤.

جبريل تَنَعَّاهُ، يَا أَبْتَاهُ! جَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ مَأْوَاهُ. قَالَ: ثُمَّ سَكَّتَ، فَمَا زَادَتْ  
شَيْئًا.

وَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودَ وَقَدْ  
فَاتَّهُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ يَبْكِي وَيَطْرَحُ رِدَاءَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ  
فَاتَّشَنِي الصَّلَاةُ عَلَيْكَ لَا فَاتَّشَنِي حُسْنُ الشَّنَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتَ سَخِيًّا بِالْحَقِّ،  
بِخِيَالًا بِالْبَاطِلِ، تَرْضَى حِينَ الرُّضَا، وَتَشْخُطُ حِينَ السُّخْطِ، مَا كُنْتَ عَيَّابًا  
وَلَا مَدَاحًا، فَجُزِّاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا.

\* \* \*

وَوَقَفَ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى قَبْرِ خَبَابٍ، فَقَالَ:  
رَحْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَبَابًا، لَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَجَاهَدَ طَائِعًا، وَعَاشَ زَاهِدًا، وَأَبْتَلَيَ فِي  
جَسْمِهِ فَصَبِّرَ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرًا مِنْ أَحْسَنِ عَمَلٍ.

\* \* \*

وَلَمَّا تُوْفِيَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَامَ الْحَسْنُ بْنُ عَلَيٍّ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قُبْضٌ فِي كُمِ الْلَّيْلَةِ رَجُلٌ لَمْ يَشْبَهْهُ  
الْأُولَوْنَ وَلَمْ يُذْرِكْهُ الْآخِرُونَ، قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَثَّهُ فِي كِتْفَتِهِ جَبَرِيلُ  
عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِهِ، لَا يَتَشَنِي حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ، مَا تَرَكَ صَفْرَاءَ  
وَلَا يَنْضَاءَ إِلَّا سَبْعَمِائَةَ دِرْهَمَ أَعْدَهَا لِخَادِمِهِ لَهُ.

\* \* \*

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَسْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُضْبَعٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَ دَاوِدَ الطَّائِيَّ

تكلم ابن السمّاك فقال: إِنَّ دَاوَدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخْرَتِهِ، فَأَغْشَى بَصَرُ  
 الْقَلْبَ بَصَرَ الْعَيْنِ، فَكَانَهُ لَمْ يَنْتَظِرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْتَظِرُونَ، وَكَانُوكُمْ لَمْ تَنْتَظِرُوا إِلَى مَا  
 إِلَيْهِ تَنْظِرُ، وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجَبُونَ، وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ، فَلَمَّا رَأَكُمْ مَفْتُونِينَ  
 مَغْرُورِينَ، قَدْ أَذْهَلَتِ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ، وَأَمَاتَتِ بُحْبُّهَا قُلُوبَكُمْ، أَسْتَوْحِشُ  
 مِنْكُمْ، فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِيبَتِهِ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ. يَا دَاوَدَ، مَا أَعْجَبَ  
 شَانِكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ! أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا، وَأَثْعَبَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ  
 رَاحَتَهَا، أَخْشَيْتَ الْمَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيْبَهُ، وَأَخْشَيْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيْنَهُ،  
 ثُمَّ أَمَتَّ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ، وَقَبَرْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُتَبَّرَ، وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ،  
 سَجَّنْتَ نَفْسَكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا مُحَدَّثٌ لَهَا وَلَا جَلِيسٌ مَعَهَا، وَلَا فِرَاشٌ تَحْتَكَ،  
 وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ، وَلَا قُلَّةٌ تُبَرَّدُ فِيهَا مَاءُكَ، وَلَا صَفَحةٌ يَكُونُ فِيهَا عَدَاؤُكَ  
 وَعَشَاؤُكَ. يَا دَاوَدَ، مَا تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بارِدَةَ، وَلَا مِنَ الطَّعَمِ طَيْبَهُ، وَلَا مِنَ  
 الْلِّبَاسِ لَيْنَهُ، بَلِي، وَلَكِنْ زَهَدْتَ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَمَا أَصْغَرَ مَا بَذَلْتَ وَمَا  
 أَحَقَّ مَا تَرَنَّكَ فِي جَنْبِ ما رَغَبْتَ وَأَمَلْتَ! لَمْ تَقْبِلْ مِنَ النَّاسِ عَطَيَّةً، وَلَا مِنَ  
 الإِخْرَانِ هَدِيَّةً، فَلَمَّا مِتَّ شَهَرَكَ رَبِّكَ بِفَضْلِكَ، وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمْلِكَ، فَلَوْ  
 رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنْ رَبِّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ وَشَرَفَكَ.

\* \* \*

وقف الأحنف بن قيس على قبر أخيه فأنسد:

فَوَاللهِ لَا أَنْسَى قَتِيلًا رُزِّقْتُهُ بِجَانِبِ قَوْسَى مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ  
 بَلِي إِنَّهَا تَغْفُلُ الْكُلُومُ وَإِنَّمَا تُوَكِّلُ بِالْأَذْنِي وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

\* \* \*

ووقف محمد بن الحَنْفِيَّةَ على قبر الْحُسْنَى بْنِ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَخَتَّهُ الْعَبْرَةَ، ثُمَّ نَطَقَ فَقَالَ: يَزْحِمُكَ اللَّهُ أَبَا مُحَمَّدَ، فَلَئِنْ عَزَّتْ حَيَاتُكَ فَلَقَدْ هَدَتْ وَفَاتُكَ، وَلَيَغُمْ رُوحَ ضَمَّهُ بَدْنُكَ، وَلَيَنْغُمَ الْبَدْنُ بَدْنُ ضَمَّهُ كَفْنُكَ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ بَقِيَّةَ وَلَدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَسَلِيلُ الْهُدَىِ، وَخَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ<sup>(١)</sup>، غَدْثُكَ أَكْفُ الْحَقِّ، وَرُبِّيْتَ فِي جِبْرِ الْإِسْلَامِ، فَطَبَّتْ حَيَاً وَطَبَّتْ مَيَّتَا، وَإِنْ كَانَتْ أَنْفُسُنَا غَيْرَ طَيِّبَةٍ بِفِرَاقِكَ، وَلَا شَاكَةٌ فِي الْخِيَارِ لَكَ.

\* \* \*

وَوَقَّتْتَ عَائِشَةَ عَلَى قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ: نَصْرَ اللَّهُ وَجْهُكَ، وَشَكَرَ لَكَ صَالِحَ سَعْيَكَ، فَقَدْ كُثِّرَتْ لِلَّدْنِيَّا مُذْلَّا بِإِذْبَارِكَ عَنْهَا، وَكُنْتَ لِلآخِرَةِ مُعِزَّاً بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا، وَلَئِنْ كَانَ أَجَلُ الْحَوَادِثِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ رُزُؤُكَ، وَأَعْظَمَ الْمَصَابِيبِ بَعْدِهِ فَقْدُكَ، إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ لَيَعِدُ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِيْكَ وَبِحُسْنِ الْعَوْضِ مِنْكَ، فَأَنَا أَنْتَجِرُ مَوْعِدَ اللَّهِ بِحُسْنِ الْعَزَاءِ عَلَيْكَ، وَأَسْتَعِيْضُهُ مِنْكَ بِالْاسْتِغْفَارِ لَكَ، فَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، تَوْدِيعٌ غَيْرَ قَالِيَّةٍ لَكَ، وَلَا زَارِيَّةٌ عَلَى الْقَضَاءِ فِيْكَ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ.

\* \* \*

### لَمَا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُجِّيَ بِتُوبَةِ فَارَّجَتِ الْمَدِينَةِ

(١) أَصْحَابُ الْكِسَاءِ هُمْ رَسُولُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَفَاطِمَةُ وَعَلِيُّ وَالْحَسَنُ وَالْحَسِينُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ لَهُمْ مَعْنَى بِكِسَاءِ وَدَعَا لَهُمْ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هُوَ لَأَ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهَبْ بِعَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا. وَفِي أَصْحَابِ الْكِسَاءِ نَزَّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا» (الْأَحْزَابُ: ٣٣).

بالبكاء عليه ودهش القوم كيوم قيض رسول الله ﷺ، وجاء علي بن أبي طالب باكيًا مسرعاً مسترحاً حتى وقف بالباب وهو يقول: رحمك الله أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدتهم يقيناً، وأعظمتهم عناء، وأحفظتهم على رسول الله ﷺ، وأحربيهم على الإسلام، وأحنفهم على أهله، وأشبههم برسول الله ﷺ خلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً؛ فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، سماك الله في كتابه صديقاً: «والذي جاء بالصدق وصدق به»<sup>(١)</sup> يريد محمداً ويريدك. كنت والله للإسلام حضناً، وعلى الكافرين عذاباً، لم تفلح حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك. كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله ﷺ: ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، قليلاً في الأرض، كثيراً عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هؤادة، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجراك، ولا أضلنا بعدك.

\* \* \*

وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية فقال: تالله إن كنت إلا كما علمت، ينطقك العلم، ويسكتك الجلم. ثم أنشأ يقول:

---

(١) الزمر: ٣٣.

وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِّيَّةً مَالِيْ أوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

\* \* \*

الهيثم بن عدي قال: لما هلك زيد استعمل معاوية الضحاك على الكوفة،  
فلما دخلها، سأله عن قبر زياد، فدل عليه، فأتاه حتى وقف به، ثم قال:

أبا المُغيرة والدنيا مُفجعة وإن من غرت الدنيا لمغروز  
قد كان عندك للمغروف معرفة وكان عندك للثكراة شكري  
لو خلَدَ الخير والإسلام ذا قدِّم إذا لخَلَدَك الإسلام والخير

والأبيات لحارثة بن زيد يزئي زيادا.

\* \* \*

قال المدائني: لما دفن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاطمة  
عليهما السلام تمثل عند قبرها، فقال:

لكلّ أجتماع من خليلين فرقه وكلّ الذي دون الممات قليل  
وإنْ افتقادِي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل

\* \* \*

وقف أبو ذر الهمданى على قبر ابنه ذر فقال: يا ذر، شغلنى الحزن  
لنك عن الحزن عليك، فلilit شعري ما قلت وما قيل لك. ثم قال: اللهم  
إني قد وهبت لك إساءته إلي، فهب له إساءته إليك. فلما انصرف عنه  
التفت إلى قبره فقال: يا ذر، قد انصرفنا وتركتناك، ولو أقمنا ما نفعناك.

\* \* \*

وَقَفْتُ أَعْرَابِيَّةً عَلَى قَبْرِ أَبِيهَا فَقَالَتْ : يَا أَبِتِ ، إِنَّ فِي اللَّهِ تَبَارِكُ وَتَعَالَى  
مِنْ فَقْدِكِ عِوَضًا ، وَفِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مُصِيبَتِكِ أَشَوَّهَ ، ثُمَّ قَالَتْ : اللَّهُمَّ  
نَزَلَ بِكَ عَبْدُكَ مُقْفِرًا مِنَ الزَّادِ ، مُخْشَوْشِنَ الْمَهَادِ ، عَنِيَا عَمَّا فِي أَيْدِي  
الْعِبَادِ ، فَقَيْرًا إِلَى مَا فِي يَدِيكَ يَا جَوَادَ ، وَأَنْتَ ، أَيُّ رَبٌّ ، خَيْرٌ مِنْ نَزَلَ بِهِ  
الْمُؤْمِلُونَ ، وَاسْتَغْنَى بِفَضْلِهِ الْمُقْلُونُ ، وَوَلَجَ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ الْمُذَنبُونَ .  
اللَّهُمَّ قَلِيلُكَنْ قَرِيْبُكَ عَبْدُكَ مِنْكَ رَحْمَتُكَ ، وَمِهَادُهُ جَنَّتُكَ ، ثُمَّ أَنْصَرْتَ

\* \* \*

تُوقِيَ رَجُلٌ كَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ بِالْذُنُوبِ فَتَحَامَى النَّاسُ جِنَانَتِهِ ،  
فَبَلَغَ عَمَرَ بْنَ ذَرَّ خَبْرُهُ ، فَأَوْصَى إِلَى أَهْلِهِ أَنْ حُذِّرُوا فِي جَهَازِهِ إِذَا فَرَغْتُمْ  
فَآذَنُونِي ، فَفَعَلُوا وَشَهِدَهُ عَمَرُ بْنُ ذَرَّ وَشَهِدَهُ النَّاسُ مَعَهُ ، فَلَمَّا قَرَّغَ مِنْ دَفْنِهِ  
وَقَفَ عَمَرُ بْنُ ذَرَّ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ : يَرِحْمُكَ اللَّهُ أَبْا فَلَانَ ، فَلَقَدْ صَحِبْتَ  
عُمَرَكَ بِالْتَّوْحِيدِ ، وَعَفَّرْتَ اللَّهَ وَجْهَكَ بِالسُّجُودِ ، فَإِنْ قَالُوا مُذْنِبٌ وَذُو  
خَطَايَا ، فَمَنْ مَنَّا غَيْرُ مُذْنِبٍ وَغَيْرُ ذِي خَطَايَا؟

\* \* \*

قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : دَخَلْتُ بَعْضَ مَقَابِرِ الْأَعْرَابِ وَمَعِي صَاحِبٌ لِي فَإِذَا  
جَارِيَّةً عَلَى قَبْرٍ كَأَنَّهَا تَمَثَّلُ وَعَلَيْهَا مِنَ الْحَلْيِ وَالْحُلَّلِ مَا لَمْ أَرَ مِثْلَهُ وَهِيَ  
تَبَكِي بَعْنَى غَزِيرَةٍ وَصَوْتٍ شَجِيرٍ . فَالْتَّفَتُ إِلَى صَاحِبِي . فَقَلَّتُ : هَلْ رَأَيْتَ  
أَعْجَبَ مِنْ هَذِهِ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهُ ، وَلَا أَخْسَبَنِي أَرَاهُ . ثُمَّ قَلَّتْ لَهَا : يَا هَذِهِ ،  
إِنِّي أَرَاكَ حَزِينَةً وَمَا عَلَيْكَ زِيَّ الْحُزْنِ : فَأَنْشَأْتَ تَقُولُ :

فإنْ تَسْأَلَنِي فِيمَ حُزْنِي فَإِنِّي  
وَإِنِّي لَا نَسْخِيهِ وَالثُّرْبُ بَيْنَا  
أَهَابُك إِجْلَالًا وَإِنْ كُنْتَ فِي التَّرَى

رَهِينَةُ هَذَا الْقَبْرِ يَا فَتَيَانِ  
كَمَا كُنْتُ أَسْتَخِيهُ حِينَ يَرَانِي  
مَخَافَةً يَوْمٍ أَنْ يَسْوُك لِسَانِي

ثم اندفعت في البُكاء وجعلت تقول:

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ يَا مَنْ كَانَ يَنْعَمُ بِي  
قَدْ رُزِّقْتُ قَبْرَكَ فِي حَلْبِي وَفِي حَلْلِ  
أَرَدَثْ أَتَيْكَ فِيمَا كُنْتُ أَعْرَفُهُ  
فَمَنْ رَأَني رَأَى عَبْرِي مُولَّهَةً عَجَيْبَةً الْزَّيْنِ تَبَكِي بَيْنَ أَمْوَاتِ  
بَالاً وَيُكْثِرُ فِي الدُّنْيَا مُوَاسَاتِي  
كَائِنِي لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْمُصَبِّيَاتِ  
أَنْ قَدْ تُسْرِّ بِهِ مِنْ بَعْضِ هَيَّاتِي

\* \* \*

وقال: رأيْتُ بـصحراء جارِيَةً قد أَلْصَقَتْ خَدَّها تَبَكِي بَيْنَ أَمْوَاتِ  
وَتَقُولُ:

خَدِّي تَقِيكَ خُشُونَةَ اللَّحْدِ  
يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ الَّذِي بِوَفَاتِهِ  
أَسْمَعَ أَبْثَكَ عِلْتِي فَلَعْلَّنِي أَطْفَيِ  
وَقْلِيلَةً لَكَ سَيِّدِي خَدِّي  
عَمِيقَتِي عَلَيَّ مَسَالِكُ الرُّشْدِ

\* \* \*

## الفصل الثالث: ما كتب على القبور

تُوْفَى رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ:  
يَا وَاقِفِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْجَمَامَ يُكُمْ عَلَيْنَا قَادِمُ  
لَوْ تَشْرِلُونَ بِشِغْبِنَا لَعَرَفْتُمُ أَنَّ الْمُفَرْطَ فِي التَّزُودِ نَادِمُ  
لَا تَسْتَغْرِرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ تَبْشُرُونَ وَالْمَوْتُ الْمُفَرْقُ هَادِمُ  
سَاوَى الرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةِ حَيْثُ الْمُخْدَمُ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ

\* \* \*

وَمِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرِ: إِنَّ الْحَسِيبَ مِنَ الْأَخْبَابِ مُخْتَلِسٌ  
لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَابَتْ وَلَا حَرَسْ  
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالْدُنْيَا وَلَدُنْهَا يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ الْفَظُّ وَالنَّفْسُ  
لَا يَزَحِّمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهِ لِيَزْرِيهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبِسُ  
قَدْ كَانَ قَضَرُكَ مَغْمُورًا لَهُ شَرَفُ فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسُ

\* \* \*

قَالَ أَبْنُ الزَّقَاقِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:  
إِلْخَوَانَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ

سَبَقْتُكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعُمُرُ طَيْهُ  
يُعِيشُكُمْ أَوْ يَأْضِطِجَاعِي فِي الْثَّرَى  
أَلَمْ نَكُنْ فِي صَفْوِ مِنَ الْعِيشِ رَائِقِ  
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلَيَمْضِ بِي مُتَرَحِّمًا وَفَاءُ الْأَصَادِيقِ

\* \* \*

أَمَرَ أَبُو الْصَّلَتِ الْإِشْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:  
سَكَنْتُكِ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا  
بِأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ  
وَأَغْظُمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَائِرٌ  
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ الْفَاهُ عِنْدَهَا  
فَإِنْ أَكُ مَجْزِيَاً بِذَنْبِي فَإِنِّي جَدِيرٌ  
وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ ثُمَّ عَثَيْ وَرَخْمَةٌ فَثُمَّ نَعِيمٌ زَائِدٌ وَشُرُورٌ

\* \* \*

حُفِرَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِ أَبْنِي بَاقِ وَهِيَ مِنْ تَضْنِيفِهِ:  
تَرَحَّمَ عَلَى قَبْرِ أَبْنِي بَاقِ وَحَيْهُ  
فَمِنْ حَقِّ مَيْتِ الْحَيِّ شَسْلِيمُ حَيْهُ  
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَانُ رَوْعَةُ خَائِفٍ  
لِتَفْرِيظِهِ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغَيْهُ  
وَلَأَنِّي بِقَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقٍ

\* \* \*

قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ الْمَقْرِيُّ الْخَيَاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتِ:  
أَيَّهَا الْرَّازِرُونَ بَغْدَ وَفَاتِي  
سَتَرَوْنَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنَ الْمَوْتِ بِعِيَانِي وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا

نَظَمَ أَسْعَدُ مُضطَفَى الْلَّقِينِي قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ:

قَبْرٌ بِهِ مَنْ أَوْتَقَثَهُ ذُنُوبُهُ وَغَدَا لِسُوءِ فِعَالِهِ مُتَخَوْفًا  
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِبَطَالَةٍ وَالْعِيشُ مِنْهُ بِالْتَّكَدُّرِ مَا صَفَا  
مَاذَا طَوَى قَبْرُ الْلَّقِينِي أَرْخُوا مُسْتَمْنَحُ لِلْعَفْوِ أَسْعَدُ مُضطَفَى

\* \* \*

لَمَّا قُتِلَ سَيِّفُ بْنُ ذِي يَزِنِ الْجِمِيرِيُّ دُفِنَ فِي صَسَعَاءِ بِمَقْبَرَةِ وَوْضِعَ فِي  
سَرِيرٍ وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ:

أَنَا أَبْنُ ذِي يَزِنِ مِنْ فَرْعَ ذِي يَمِنِ مَلَكْتُ مِنْ حَدَّ صَسَعَاءِ إِلَى عَدَنِ  
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ  
فِي الْبَحْرِ أَخْمِلُهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ  
حَتَّى غَرَقُوا بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً  
فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمِنِ  
بِالْخَسْفِ وَالْدُّلُّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ  
ذُوقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحِقْدِ وَالْأَحَنِ  
فَأَوْفَقُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو دُولٍ  
حَتَّى إِذَا ظَفَرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبَتْ  
وَنَلَّتْ أَكْتَرَ مِمَّا كُشِّتْ آمِلُهُ  
وَرَأَى مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنْ الْحَزَنِ  
جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ  
مِنْ قَنْلِي الْجُنُشَ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي  
مِنْ بَعْدِ مَا جُبِّتُ أَخْوَالًا مُصْرَمَةً  
قُطِرَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَغْجِزْ وَلَمْ أَهِنْ  
قَدْ صِرَّتْ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلِمَةٍ

\* \* \*

كَانَ عَلَى قَبْرِ يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ مَكْتُوبٌ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَمِلَهَا قَبْلَ مَوْتِهِ،

وأمر أن تكتب على قبره، وهي هذه:

سلام على أهل القبور الدوارس  
كانهم لم يجلسوا في المجالس  
ولم يأكلوا ما بين رطب وقابس  
فلم تشجني منه ألف الفوارس  
فقد جاءني المؤثر المهول بسخرة  
فيما زائر القبر اتعظ وأغتنى بآنس

\* \* \*

لما حضرت أبي العناية الوفاة أوصى بأن يكتب على قبره هذه

الأبيات الأربع:

أذن حي تسمعي ثم عي وعي  
أنا رهن بمضجعي فاحذر مثل مضرعي  
عشت تشرين حجة ثم وافيت مضجعي  
ليس شيء سوى الثقل فخذلي منه أو دععي  
وعارضه بعض الشعرا في هذه الأبيات، وأوصى بأن تكتب على

قبره أيضا فكتبت، وهي:

أصبح القبر مضجعي ومحللي وموضع  
ضرعثني الح توف في الـ  
أين إخوانني الذي ن إليهم تطلع  
مث وخدلي فلم يمث واحد منهم مع

\* \* \*

وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ جَارِيَةً إِلَى جَهْبٍ قَبْرٌ أَبِي نُوَاسَ ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ، فَقِيلَ إِنَّهَا  
مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ، وَهِيَ:

أَقُول لِقَبْرِ رُزْتَهِ مُتَلَّثِمًا<sup>(١)</sup>  
لَقَدْ غَيَّبُوا تَحْتَ الشَّرَى قَمَرَ الدُّجَى  
عَجِبْتُ لِعَيْنِ بَعْدِهَا مَلَّتِ الْبَكَا

\* \* \*

قَالَ الرِّيَاشِيُّ: وُجِدَتْ تَحْتَ الْفِرَاشِ الَّذِي مَاتَ عَلَيْهِ أَبُو نُوَاسَ رُقْعَةً  
مَكْتُوبٌ فِيهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

يَا رَبَّ إِنْ عَظُمْتَ ذُنُوبِي كَثْرَةً  
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُخْسِنٌ  
أَذْعُوكَ رَبَّ كَمَا أَمْرَتَ تَضَرُّعًا  
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا

\* \* \*

قَالَ الْحُشْنَيُّ: أَخْبَرَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا مِنْ كَانَ يَعْشُى مَجْلِسَ الرِّيَاشِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى قَبْرٍ أَبِي هَاشِمَ الْإِيَادِيِّ بِوَاسِطَةِ  
الْمَوْتِ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِ مَمْلَكَتِي وَالْمَوْتُ أَضْرَعَنِي مِنْ بَعْدِ تَشْرِيفِي  
لَهُ عَبْدٌ رَأَى قَبْرِي فَأَغْبَرَهُ وَخَافَ مِنْ دَهْرِهِ رَبِّ التَّصَارِيفِ

\* \* \*

(١) مُتَلَّثِمًا: أَيْ بَاغِيَا لِثَمَةٍ.

(٢) الْعَفْرُ: التَّرَابُ.

قال الأصمعي: أخذ بيدي يحيى بن خالد بن بزمل فوتفني على قبره  
بالحيرة فإذا عليه مكتوب:

إِنَّ بَنِي الْمُنْذَرَ لَمَا أَنْقَضُوا بِحِيثِ شَادَ الْبَيْنَعَةَ الرَّاهِبُ  
تَنَفَّحَ بِالْمِسْكِ مَحَارِبُهُمْ وَعَنْبَرٌ يَقْطِبُهُ<sup>(١)</sup> قَاطِبُ  
الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ لَهُمْ رَاهِنٌ وَقَهْوَةُ رَاؤُوقَهَا<sup>(٢)</sup> سَاكِبُ  
الْقُطْنِ وَالكَتَانِ أَثْوَابُهُمْ لَمْ يَجْلِبْ الصُّوفَ لَهُمْ جَالِبُ  
فَأَضَبَّحُوا قُوَّاتِهِمْ لَدُودُ الثَّرَى وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى لَهُ صَاحِبُ  
كَائِنًا حِيَاثَهُمْ لُغَبَةُ سَرَى إِلَى بَيْنِ<sup>(٣)</sup> بَهَا رَاكِبُ

\* \* \*

قال الشيباني: وجد مكتوبًا على بعض القبور:

مَلَّ الْأَجْبَةُ زَوْرَتِي فَجُفِيتُ وَسَكَنْتُ فِي دَارِ الْبَلِى فَشَيَّىَتُ  
الْحَيُّ يَكْنِبُ لَا صَدِيقَ لِمَيِّتٍ لَوْ كَانَ يَضْدُقُ مَاتَ حِينَ يَمُوتُ  
يَا مُؤْنِسَا سَكَنَ الثَّرَى وَبَقِيتُ لَوْ كَنْتُ أَضْدُقُ إِذْ بَلَيْتَ بَلِيتُ  
أَوْ كَانَ يَغْمَى لِلْبُكَاءِ مُفَجَّعٌ مِنْ طُولِ مَا أَبَكَى عَلَيْكَ عَمِيتُ

\* \* \*

(١) يقطبه: يمزجه.

(٢) الراؤوق: الإناء الذي يُصْفَى به الشراب.

(٣) بين: موضع في الحيرة.

الباب السادس

في الرثاء

## الفصل الأول: في رثاء الذات

قال مالك بن الرئب يَرْثِي نَفْسَهُ وَيَصِفُ قَبْرَهُ، وَكَانَ خَرَجَ مَعَ سَعِيدِ  
ابن عثمان بن عفان لِمَا وَلَيَّ خُرَاسَانَ، فَلَمَّا كَانَ بِعْضُ الطَّرِيقِ أَرَادَ أَنْ  
يَلْبِسَ حُفَّهُ، فَإِذَا بِأَفْعَى فِي دَاخِلِهَا فَلَسْعَتَهُ، فَلَمَّا أَحْسَنَ الْمَوْتَ أَسْتَلَقَى عَلَى  
قَفَاهُ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

دَعَانِي الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أُودَ وَصُخْبَتِي  
بِذِي الْطَّبَسِينِ فَالْتَّفَتُ وَرَأَيْتَا<sup>(١)</sup>  
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا سَوَابِقُ عَبْرَةَ  
تَقْتَعُتْ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا<sup>(٢)</sup>  
أَلَمْ تَرَنِي يَغْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىِ  
وَلَلَّهِ ذَرْيِ حِينَ أَثْرَكَ طَائِعَا  
وَدَرْ كَبِيرَيِ الْلَّذِينَ كِلَاهُمَا  
وَدَرْ الظُّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةَ  
وَقُولَ أَبْتَتِي لِمَا رَأَتْ وَشَكَ رِخْلَتِي  
أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ بَكْثَ أُمُّ مَالِكِ  
كَمَا كَنْتُ لَوْ عَالَوْنَا نَعِيَّكِ باكِيَا<sup>(٣)</sup>  
عَلَى جَدَثِ قدْ جَرَتِ الرِّيحُ فَوْقَهِ  
تُرَابًا كَسْحَقَ الْمَرْنَبَانِيَّ هَابِيَا<sup>(٤)</sup>  
فِيَا صَاحِبِيَّ رَخْلِيَّ دَنَا الْمَوْتُ فَاحْفِرَا  
بِرَابِيَّةِ إِتِيَّ مُقِيمٍ لِيالِيَا

(١) أُودَ وَذُو الْطَّبَسِينِ: مُوضِعَانِ.

(٢) أَيْ تَقْتَعُتْ رِدَائِيَّ لَكِيلًا يَرْوَنِي النَّاسُ باكِيَا فِيلُومُونِيَّ.

(٣) عَالَوَا: هَنَا بِمَعْنَى نَشَرُوا وَأَعْلَنُوا.

(٤) الْمَرْنَبَانِيَّ: كَسَاءُ مِنْ خَزْرَةِ هَابِيَا: مُتَشَرِّسًا.

وَخُطَا بِأَطْرَافِ الْأَسْيَةِ مَضْجَعِي  
 وَلَا تَخْسَدَنِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا  
 خُذَانِي فَجُرَانِي يُبَزِّدِي إِلَيْكُمَا  
 تَفَقَّدَتْ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فِلمَ أَجِدْ  
 وَأَذْهَمْ غَرَبِيبَ<sup>(١)</sup> يَجْرِي لِجَاهِمَه  
 وَبِالرَّمْلِ لَوْ يَعْلَمَنِ عِلْمِي نِسْوَةَ  
 عَجُوزِي وَأَخْتَايِ اللَّتَانِ أُصِيبَتَا  
 لَعْمَرِي لَئِنْ غَالتْ حُرَاسَانُ هَامِتِي  
 تَحَمَّلْ أَصْحَابِي عِشَاءَ وَغَادَرُوا  
 يَقُولُونَ لَا تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفَنُونِي  
 إِلَّا مَكَانِي

\* \* \*

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَعْلَبَ يَقَالُ لَهُ أَقْثُونُ، وَهُوَ لَقَبُهُ، وَاسْمُهُ صُرَيْمُ بْنُ  
 مَغْشِرٍ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ شَيْمٍ، وَلَقِيَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَمُوتُ  
 بِمَكَانٍ يَقَالُ لَهُ إِلَاهَهُ . فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ سَافَرَ فِي رَكْبِ مَنْ قَوْمَهُ إِلَى  
 الشَّامِ فَأَتَوْهَا، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالُوا لِرَجُلٍ: كَيْفَ نَأْخُذُ؟ فَقَالَ:  
 سَيِّرُوا حَتَّى إِذَا كَتَمْ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ظَهَرَ لَكُمُ الطَّرِيقُ وَرَأَيْتُمْ إِلَاهَهَ -  
 وَإِلَاهَهَ قَارَةَ السَّمَاوَاتِ - فَلَمَّا أَتَوْهَا نَزَلَ أَصْحَابُهُ وَأَبْنَى أَنْ يَنْزَلَ، فَبَيْنَمَا نَاقَةٌ  
 تَرْتَعِي وَهُوَ رَاكِبُهَا إِذَا أَخَذَتْ يَمْشِفَرَ نَاقَهُ حَيَّةً، فَاحْتَكَتِ النَّاقَةُ بِيَمْشِفَرِهَا  
 فَلَدَغَتْ سَاقَهُ؛ فَقَالَ لِأَخْيَهِ وَكَانَ مَعَهُ، وَاسْمُهُ مَعَاوِيَةُ: احْفِرْ لِي فَإِنِّي مَيْتُ،  
ثُمَّ تَغْئِي قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ يَبْكِي نَفْسَهُ:

(١) غَرَبِيبٌ: شَدِيدُ السُّوَادِ.

فلست على شيء فروحن معاويا  
 ولا خير فيما يكذب المزء نفسه  
 وإن أغجبتك الدهر حال من أمرع  
 يرخن عليه أو يعيزن ما به  
 فطاً معرضًا إن الحثوف كثيرة  
 لعمرك ما يذري أمرك كيف يتقي  
 كفى حزناً أن يرحل الركب غدوة  
 ويروى أنه مات، فدقنوه بها.

\* \* \*

وقال هذبة العذري لما أتى بالموت:

ألا علاني قبل نوح النواح  
 وقبل أطلاع النفس بين الجوانح  
 إذا راح أصحابي ولست برائح  
 وقبل غد يا لهف نفسي على غد  
 إذا راح أصحابي يقين دموعهم  
 وغوراث في لحد علي صفائحي  
 يقولون هل أصلحتم لأخيكم

\* \* \*

وقال محمد بن بشير:

ويل لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مثواه

(١) فلست على شيء أي لست أقدر على شيء. فروحن: اتركتي. والمشفقات: ذوات الشفقة. والحوزي: الكواهن. أي لا أقدر أن أدفع عن نفسي شيئاً كتب علي، وكذا النساء المشفقات إذ تبعن الكواهن يسألنهن لا يعنينن عن أشفقن عليه شيئاً.

(٢) طا: فعل الأمر من وطئ بمعنى داس. الحثوف: جمع الحتف، وهو الموت.

والوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَتَى  
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ  
صَارَ الْبَشِيرِيَّ إِلَى رَبِّهِ وَإِتَاهُ  
يُذَكِّرُنِي الْمَوْتُ وَأَئْسَاهُ  
قَدْ كَنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ:

\* \* \*

## الفصل الثاني: في رثاء الولد

قال ابن عبد ربه في رثاء ولده:

بَلِيتِ عِظَامُكَ وَالْأَسَى يَنْفَدُ  
وَالصَّبَرُ يَنْفَدُ وَالْبُكَا لَا يَنْفَدُ  
يَا غَائِبَا لَا يُرْتَجِحُ لِإِيَابِهِ  
وَلِقَائِهِ دُونَ الْقِيَامَةِ مَؤْعَدُ  
مَا كَانَ أَخْسَنَ مُلْحَدًا ضُمِّنَتِهِ  
لَوْ كَانَ ضَمَّنَ أَبَاكَ ذَاكَ الْمُلْحَدُ  
بِالْيَأسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا بِتَجْلِيَّ  
هِيهَاتٌ أَيْنَ مِنَ الْخَزِينِ تَجَلَّدُ

\* \* \*

وقال فيه أيضاً:

وَأَكِيدَا قَدْ قُطُّعْتِ كَيْدِي  
وَخَرَقْتَهَا لِواعِجَّ الْكَمْدِ  
أَعْذَرْ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ  
ما مَاتَ حَيٌّ لَمْ يَمِيتْ أَسْفَا  
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِريِّي جَدَّثَا  
دَقَّنَتْ فِيهِ حُشَاشَتِيِّي بِيَدِي  
وَنَوْرِي ظُلْمَةَ الْقَبُورِ عَلَى  
مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ  
وَطَيْبَ الرُّوحَ طَاهِرَ الْجَسَدِ  
مَنْ كَانَ خَلَوَا مِنْ كُلِّ بِائِقَةٍ  
يَا مَوْتَ، يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ  
لَيْسَ بِزَمِنَلَةٍ<sup>(۱)</sup> وَلَا نَكِيدِ  
يَا مَوْتَهِ لَوْ أَقْلَتَ عَثْرَتَهِ  
يَا يَوْمَهِ لَوْ تَرَكَتَهِ لَغَدِ

(۱) الزميل: الجبان الضعيف.

لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْنَهُ بَلَدٌ<sup>(١)</sup>  
 حَازَ الْعَلا وَاحْتَوَى عَلَى الْأَمْدٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَيْ رُوحٍ سَلَلَتْ مِنْ جَسَدٍ  
 وَأَيْ كَفْ أَزْلَتْ مِنْ عَضْدٍ  
 قَبْلَ بَلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدَدِ<sup>(٣)</sup>  
 وَأَيْ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجْدِ  
 فَجِعْتَ بِالصَّبْرِ فِيهِ وَالْجَلْدِ  
 لَحْقٌ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي  
 يَقْدِحُ نَارَ الْأَسْى عَلَى كَيْدِي

يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ ثَعَاجِلَهُ  
 أَوْ كُنْتَ رَاهِيَّتَ فِي الْعِنَانِ لَهُ  
 أَيْ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَزْنَقَهُ  
 وَأَيْ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدْمٍ  
 يَا قَمَرًا أَجْحَفَ الْخُسُوفَ بِهِ  
 أَيْ حَشَّا لَمْ تَذْبَ لَهُ أَسْفَانًا  
 لَا صَبَرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدَ  
 لَوْ لَمْ أَمُثَّتْ عَنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا  
 يَا لَوْعَةً مَا يَزَالُ لَا عِجْهَا

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

وَلَا أَمْتَلَا فَرَحًا إِلَّا أَمْتَلَا حَزَنًا  
 لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَخْيَا الدِّينَ وَالسُّنَّا  
 لَوْ سَكَّتَ وَلَهَا أَوْ فَتَرَتْ شَجَنًا  
 وَمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ: وَا حَزَنًا  
 هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنْيَ حِينَ مِنْكَ دَنَا  
 لَخِدٍ وَيُلْبَسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنَا  
 أَسْتَرْدُغُ اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحُ وَالْبَدَنَا  
 مِنْهُ لَمَّا كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السُّكَّانَا  
 لَهُفِيَ عَلَى مَيِّتٍ ماتَ السُّرُورُ بِهِ  
 وَاهَا عَلَيْكَ أَبا بَكْرٍ مُرَدَّدَهُ  
 إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتَ وَا حَزَنَا  
 يَا سَيِّدِي وَمَرَاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي  
 حَتَّى يَعُودَ بِنَا فِي قَغْرَ مُظْلَمَةٍ  
 يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ  
 لَوْ كُنْتُ أَعْطَى بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوِضَةً

(١) بَيْضَةُ الْبَلَدِ: السَّيِّد.

(٢) الْأَمْدُ: الْغَايَةُ.

(٣) السَّوَاءُ: يَرِيدُ لِي لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشَرَةً، أَيْ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُمْ.

وقال أبو ذئب الهدلي، وكان له أولاد سبعة فماتوا كلهم إلا طفلًا،  
فقال يرثيهم:

أَمِنَ الْمَنُونَ وَرَئِبَه نَتَوَجَّعُ  
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُغْتَبٍ مِنْ يَجْزِعُ  
قَالَتْ أُمِّيَّةٌ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا  
مِنْذَ ابْتِلِتْ وَمِثْلُ مَالِكٍ يَنْقُعُ  
أَمَّا لِجِسْمِكَ لَا يُلَائِمُ مَضْجَعًا  
إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ  
فَأَجْبَثَتْهَا أَنَّ مَا لِجِسْمِي إِنَّهُ  
أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي حَسْرَةً  
سَبَقُوا هَوَيٍّ وَأَغْنَقُوا لَهْوَاهُمْ  
فَبَقِيَّتْ بَعْدَهُمْ بَعْيَشٍ نَاصِبٍ  
وَلَقَدْ حَرَضْتَ بِأَنَّ أَدْافِعَ عَنْهُمْ  
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَشَبَّتْ أَظْفَارَهَا  
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَانَ حِدَاقَهَا  
حَتَّى كَانَى لِلحوادِثِ مَرْزُوةً  
وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتَيْنِ أَرِيهِمْ  
وَقَالَ فِي الطَّفْلِ الَّذِي بَقِيَ لَهُ  
وَالثَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا  
إِذَا ثَرَدَ إِلَى قَلِيلٍ تَقْتَعُ

وقال الأصمسي: هذا أبدع بنت قالته العرب.

(١) هَوَيٌ: هواي، وهذا لغة. أَغْنَقُوا: تبع بعضهم بعضاً. سَخَرُوا: أَخْذُوا واحداً واحداً.

(٢) نَاصِبٌ: فيه نصب، أي تعب.

(٣) التَّمِيمَةُ: ما يعلق على الصدر لدفع الأذية.

(٤) حِدَاقَهَا: حدتها.

(٥) المَرْزُوهُ: الصخرة. وصَفَا الْمَشْرَقُ: اسم موضع. يقول: كأنما أنا مروءة في السوق تقع بها أقدام الناس.

وقال أعرابيٌ يَرْثِي بَنِيهِ:

فَدَيْنَا وَأَغْطِنَا بِكُمْ سَاكِنِي الظَّهِيرِ  
عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مُقِيمًا إِلَى الْحَشْرِ  
فَلَمَا تَقَصَّ شَطْرُهُ مَالَ فِي شَطْرِي<sup>(۱)</sup>  
عَلَيْهِمْ لَهَا دَيْنٌ قَضَوْهُ عَلَى عَشْرِ  
فَتَكَلَّ عَلَى ثُكْلٍ وَقَبَرٍ إِلَى قَبْرِ  
فَلَمَا تُوقِّنَا مَاتَ حَخْوَفِي مِنَ الدَّهْرِ  
وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الرِّزْيَةِ كَالصَّبْرِ

أَسْكَانَ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يَقْبَلُ الْفِدَا  
فِيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ  
وَقَاسَمْنِي دَهْرِيَ بَنِيَ بِشَطْرِهِ  
فَصَارُوا دُيُونًا لِلْمَنَابِيَا وَلَمْ يَكُنْ  
كَانُهُمْ لَمْ يَعْرِفُ الْمَوْتَ غَيْرُهُمْ  
وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا الْحَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ  
فَلَلَّهِ مَا أَغْطَى وَلَهُ مَا حَوَى

\* \* \*

وقيل لأُعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك؟ قالت: إنْ فَقْدِي إِيَاهُ  
آمَنَّتِي كُلَّ فَقْدٍ سواه، وإنْ مُصِيبتي به هَوَنَتْ عَلَيَّ المصائب بعده. ثم  
أشأت تقول:

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيَمُتْ  
كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي  
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالدِّيَا  
إِنِّي وَغَيْرِي لَا مَحَا لَهَا حِيَثُ صِرَّتْ لِصَائِرِ  
أَخْذَ الْحَسْنُ بْنَ هَانِئٍ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ، فَقَالَ فِي الْأَمِينِ:

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدًا  
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخْذَرَ الْمَوْتَ وَحْدَهُ  
فَلَمْ يَقِنْ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَادِيرُ  
لَقَدْ عَمَرْتُ ذُورًا بِمَنْ لَا أُحِبُّهُ

(۱) المَعْنَى أَنَّهُ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْ نَصْفِ أَوْلَادِي.

وقال عبد الله بن الأهتم يرثي أبنا له:  
 دَعْوَتُكَ يَا بُنْيَ فِلْمَ تَجِبْنِي فَرُدْتَ دَغْوَتِي يَأْسًا عَلَيَّ  
 بِمَوْتِكَ ماتَتِ الْلَّذَاتِ مَتِي وَكَانَتِ حَيَّةً مَا ذُمِّتِ حَيَا  
 فِيمَا أَسْفَا عَلَيْكَ وَطُولَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ رَدَ شَيْتا

\* \* \*

وَأَصِيبُ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ بَابِنِ لَهُ، فَلَمَّا دَفَنَهُ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَقَالَ:  
 كَفَى حَزَنًا بَدْفُنَكَ ثُمَّ أَنْيَ نَفَضْتُ ثُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدِيَا  
 وَكَانَتِ فِي حَيَاكَ لِي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَا

\* \* \*

وَمَاتَ أَبُنْ لِأَعْرَابِيَ فَاشْتَدَ حُزْنُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُنْكِتُ بِهِ، فَقَيلَ  
 لَهُ: لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لِثَوَابِكَ؛ فَقَالَ:  
 بَأْبِي وَأُمِّي مِنْ عَبَائِثِ حَنْوَطَهِ بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ  
 كَيْفَ السُّلُوْ وَكَيْفَ أَنْسَى ذَكْرَهِ إِذَا دُعِيْتَ فَإِنَّمَا أُذْعَنَى بِهِ

\* \* \*

خَرَجَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا إِلَى بَقِيعَ الْغَرْقَدِ<sup>(۱)</sup>، فَإِذَا  
 أَعْرَابِيٌّ بَيْنَ يَدِيهِ، فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيَّ، مَا أَذْخَلَكَ دَارَ الْحَقِّ؟ قَالَ: وَدِيْعَةَ لِي  
 هَا هَنَا مِنْذُ ثَلَاثَ سَنِينَ؛ قَالَ: وَمَا وَدِيْعَتَكَ؟ قَالَ: أَبْنُ لِي حِينَ تَرَغَّبَ فَقَدْتُهُ  
 فَأَنَا أَنْدُبُهُ؛ قَالَ عَمْرٌ: أَسْمِيْنِي مَا قَلْتَ فِيهِ؛ فَقَالَ:  
 يَا غَائِبًا مَا يَؤْوِبُ مِنْ سَفَرَهِ عَاجِلَهُ مَوْتُهُ عَلَى صِغَرِهِ  
 يَا قُرْةَ الْعَيْنِ كُنْتَ لِي سَكَنًا فِي طُولِ لَيْلِي نَعَمْ وَفِي قِصَرِهِ

(۱) بَقِيعَ الْغَرْقَد: مَقِيرَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

شربٍت كأساً أبوك شاربُها لا بُدَّ يوماً له على يَكْبَرِه  
أشربُها والأنام كُلُّهُمْ مَنْ كان في بَذْوَه وفي حَضَرِه  
فالحَمْدُ لِلله لا شَرِيكَ لَهُ الموتُ في حُكْمِهِ وفي قَدْرِهِ  
قد قَسَّ الموتُ في الأنام فَمَا يَقْدِرُ خَلْقٌ يَزِيدُ في عُمُرِهِ  
قال عمر: صدقت يا أعرابي، غير أنَّ الله خيرٌ لك منه.

\* \* \*

وقالت أعرابيةٌ تَذَذَّبُ أَبْنَاهَا لَهَا:  
أَبْنَيَ غَيْبِكَ الْمَحْلُّ الْمُلْحَدُ إِمَّا بَعْدَتْ فَأَينَ مَنْ لَا يَتَبَعَّدُ  
أَنْتَ الَّذِي فِي كُلِّ مُمْسَى لَيْلَةٍ تَبَلَّى وَحُزْنُكَ فِي الْخَشْنَى يَتَجَدَّدُ  
وَقَالَتْ فِيهِ:

لَئِنْ كُنْتَ لَهُوا لِلْعَيْوُنِ وَقُوَّةً لَقَدْ صِرْتَ سُقْمًا لِلْقُلُوبِ الصَّحَّاجِ  
وَهُوَنْ حُزْنِي أَنَّ يَوْمَكَ مُذْرِكِي وَأَنِّي غَدًا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الضَّرَائِيجِ

\* \* \*

وقال أبو الخطّار يَرْثِي ابْنَهُ الخطّار:  
أَلَا خَبْرَانِي بارك الله فِيكُما مَتَى الْعَهْدُ بِالخطّارِ يَا فَتَيَانِ  
فَتَنِي لَا يَرَى نَوْمَ الْعِشَاءِ غَنِيمَةً وَلَا يَتَشَنَّى مِنْ صَوْلَةِ الْحَدَثَانِ

\* \* \*

وقال أبو الشَّغْبَ يَرْثِي ابْنَهُ شَغْبًا:  
قدْ كَانَ شَغْبُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَمَرَهُ عِزًا ثُرَادَ بِهِ فِي عِزَّهَا مُضَرُّ  
لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ قَبْلَ مَضَرَّعِهِ دَكَّا فَلَمْ يَتَقَ منْ أَخْجَارِهَا حَجَرٌ

فارقت شَعْبَا وقد قُوِّست من كَبَرٍ بِشْسُ الْخَلِيلِ طُولُ الْحُزْنِ وَالْكَبَرُ

\* \* \*

قال الأصمسي عن رجل من الأعراب: كُنَا عَشْرَةً إِخْوَةً، وَكَانَ لَنَا أَخْ يُقال له حسن، فَتَعَيَّنَ إِلَى أَبِينَا، فَبَقَيَ سَتَّيْنَ يَتَكَيَّى عَلَيْهِ حَتَّى كُفَّ بَصَرُهُ، وَقَالَ فِيهِ:

أَفْلَحْتُ إِنْ كَانَ لَمْ يَمُتْ حَسَنٌ وَكُفَّ عَنِي الْبُكَاءُ وَالْحَزَنُ  
بَلْ أَكَدَبَ اللَّهُ مَنْ نَعِيَ حَسَنًا لَيْسَ لِتَكْذِيبِ قَوْلِهِ ئَمَنُ  
أَجُولُ فِي الدَّارِ لَا أَرَاكَ وَفِي الدَّارِ أَنْاسٌ جِوَارُهُمْ غَبَنُ  
بُدُلْتُهُمْ مِنْكَ لَيْتَ أَنَّهُمْ كَانُوا وَيَنْبَغِي وَيَنْبَغِي مُدَنُ  
قَدْ عَلِمُوا عِنْدَمَا أَنَافُرُهُمْ  
قَدْ جَرَبُونِي فَمَا أَلَّا وَمُهُمْ  
قَدْ بُرِيَ الْجَسْمُ مَذْ نُعِيتَ لَنَا  
فَإِنْ تَعِيشَ فَالْمُنْيَ حَيَاكَ وَالْ  
إِنْ تَخِيَ تَخِيَ بِخِيرِ عَيْشٍ وَإِنْ  
بَرِيدَكَ الْحَمْدُ وَالسَّلَامُ مَعَا  
يَا وَيْحَ تَفْسِي أَنْ كُنْتَ فِي جَدَاثٍ  
عَلَيَّ اللَّهُ إِنْ لَقِيتُكَ مِنْ  
أَسْوَقُهَا حَافِيَا مُجَلَّلَةً  
فَلَا ثُبَالِي إِذَا بَقِيتَ لَنَا مَنْ مَاتَ أَوْ مَنْ أَوْدَى بِهِ الزَّمْنُ

(١) السفن: ما ينحت به الشيء كالقدم ونحوه.

كُنْتَ خَلِيلِي وَكُنْتَ خَالِصِتِي لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْلِهِ سَكَنْ  
لَا خَيْرٌ لِي فِي الْحَيَاةِ بَعْدَكَ إِذْ أَصْبَحَتْ تَحْتَ التُّرَابِ يَا حَسْنُ

\* \* \*

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي ابْنَهُ :  
وَلَمَا دَعَوْتُ الصَّبَرَ بَعْدَكَ وَالْأَسَى أَجَابَ الْأَسَى  
فَإِنْ يَنْقُطِعَ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ سَيَقِنُى عَلَيْكَ الْحُزْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

\* \* \*

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي ابْنَهُ :  
بُنَيَّ لَئِنْ ضَيَّتْ جُفُونُ بِمَا هُنَّا لَقَدْ قَرِيتَ مَتِّي عَلَيْكَ جُفُونُ  
دَفَنْتُ بِكَفِي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتَ وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينٌ

\* \* \*

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ يَرْثِي وَلَدَّاهُ :  
أَخْضِبْ رَأْسِي أَمْ أَطْيَبْ مَفْرِقِي وَرَأْسُكَ مَزْمُوسٌ وَأَنْتَ سَلِيبٌ  
نَسِيبُكَ مِنْ أَمْسِى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ وَلَيْسَ لَمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيبٌ  
غَرِيبٌ وَأَطْرَافُ الْبُيُوتِ تُنَكِّهُ أَلَا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ غَرِيبٌ

\* \* \*

قَالَ العُثْمَانِيُّ - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - يَرْثِي ابْنَاهُ :  
أَضْخَثْ بِخَدِّي لِلَّدْمَوْعِ رُسُومٌ أَسْفًا عَلَيْكَ وَفِي الْفَؤَادِ كُلُومٌ  
وَالصَّبَرُ يُخَمِّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلُّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

\* \* \*

وقالت أعرابية تَرْثِي ولدتها:

يا فَرْحَةَ الْقَلْبِ وَالْأَخْشَاءِ وَالْكَبِيرِ  
يا لَيْتَ أُمَّكَ لَمْ تَخْبَلْ وَلَمْ تَلِدْ  
لَمَا رَأَيْتُكَ قَدْ أُدْرِجْتَ فِي كَفْنٍ  
مُطَيَّبًا لِلْمَنَابِيَا آخِرَ الْأَبْدِ  
أَيْقَنْتُ بَعْدَكَ أَنِّي غَيْرُ باقِيَةٍ  
وَكَيْفَ يَقْنِي ذَرَاعٌ زَالَ عَنْ عَضْدِ

\* \* \*

## الفصل الثالث: في رثاء الأخ

قال الرياشي: صَلَى مُتَمْمٌ بن نُوئِيرَة الصَّبِحَ مع أَبِي بَكْر الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

نَعْمَ الْقَتِيلُ - إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ  
أَدْعُوكَهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ  
لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذَمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ  
لَا يُضْمِرُ الْفَخْشَاءُ تَحْتَ رِدَائِهِ  
فَقَالَ: ثُمَّ بَكَى حَتَّى سَالَتْ عَيْنُهُ الْعُورَاءُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا دَعْوَتَهُ وَلَا  
قَتَلْتَهُ. وَقَالَ مُتَمْمٌ:

وَلَيْسَ أَخُو الشَّجْوِ الْحَزِينِ بِضَاحِكٍ  
يَقُولُ أَتَبْكِي مِنْ قُبُورِ رَأَيْتَهَا  
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى  
وَمُسْتَضْحِلٌ مَتَى أَدْعَى كَمْصِيبِي

\* \* \*

وقال مُتَمْمٌ يَرْثِي أَخَاهُ مَالَكًا، وَهِيَ التِّي تُسَمَّى أَمَّ الْمَرَاثِي:  
لَعْمَرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكِ   وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَلْمَ فَأَوْجَعَا<sup>(٣)</sup>

(١) ابن الأزور: ضرار بن الأزور، وهو الذي قتل مالك بن نويرة.

(٢) الدكادك: جمع دكدة. وهو من الرمل ما تكسس واستوى.

(٣) ما دهري: أي ما هي وغايتي. ولا جزع، عطف على قوله «بتأبين». يقول: ليس هي بمروية ميت وإظهار الجزع عليه ولكنني أمدح أخي وأظهر فضله. أو لعله يريد أن أخي قد عاجله الموت وأن هذا الوقت لم يكن لرثائه.

فَتَىٰ غَيْرِ مِنْطَانِ العَشَيَّاتِ أَزَوْعَا<sup>(١)</sup>  
 إِذَا القَشْعُ مِنْ بَزْدِ الشَّتَاءِ تَقْعَدَعَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرَأٍ السَّوْءَ مَطْمَعًا  
 إِذَا هَزَّ الرِّيحُ الْكَنِيفَ الْمُرْفَعَا<sup>(٣)</sup>  
 كَفَرْخُ الْحِبَارِيِّ رِيشَهُ قَدْ تَمَرَّعَا<sup>(٤)</sup>  
 وَلَا طَالِبًا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ مَفَرَّعَا<sup>(٥)</sup>  
 إِذَا هُوَ لَاقَ حَاسِرًا أَوْ مَقْنَعَا<sup>(٦)</sup>  
 أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا<sup>(٧)</sup>  
 وَكُنْتَ حَرِيًّا أَنْ تُجِيبَ وَتَسْمَعَا  
 وَأَنْسَى ثُرَابًا فَوْهُ الْأَرْضُ بَلْقَعَا  
 فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي حِينَ وَدَعَا  
 أَصَابَ الْمَنَابِيَّ رَهْطَ كِشَرَى وَتُبَعَا<sup>(٨)</sup>  
 مِنَ الدَّهْرِ حَتَّىٰ قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

لَقَدْ غَيَّبَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ  
 وَلَا بَرَّا مَا تُهَدِّي النِّسَاءُ لِعِزْسِهِ  
 تَرَاهُ كَتَضْلِ الْسَّيْفِ يَهْتَرُّ لِلَّنْدِي  
 فَعَيْنِي هَلَّا تَبَكِيَانَ لِمَالِكِ  
 وَأَزْمَلَةَ تَمْشِي بِالْأَشْعَثِ مُخْتَلِ  
 وَمَا كَانَ وَقَافَا إِذَا الْخَيْلُ أَخْجَمَتِ  
 وَلَا بَكَهَامِ سَيْفُهُ عَنْ عَدْوَهِ  
 أَبَى الصَّبَرَ آيَاتٍ أَرَاهَا وَأَتَسِيَ  
 وَأَتَيَ مَتِي مَا أَذْعُ بِاسْمِكَ لَمْ تُجِبَ  
 تَحِيَّتَهُ مَتَّيٌّ وَإِنْ كَانَ نَائِيَا  
 فَإِنَّ تَكُنَّ الْأَيَّامَ قَرْفَنَ بَيْنَنَا  
 فَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا  
 وَكُنَّا كَنْدَمَانِيَّ جَذِيمَةَ حِقْبَةَ

(١) المنهال: رجل من بنى يربوع ألقى ثوبه على مالك أخي متمن يستره به. والمبطان: الضخم البطن. يريد أنه لا يتبعجل العشاء انتظارا في العشييات للضيوف، وهي وقت مجدهم. والأروع: الذي يعجبك بحسنه وجاهه.

(٢) البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، وهو ذم. والقشع: البيت من أدم أو جلد. والتقطيع: صوت الجلد إذا يبس.

(٣) الكنيف: حظيرة من شجر تجعل للإبل تقها البرد. والمرفع: المرفوع.

(٤) يريد «بالأشعث»: ولدها. والمحثل: الستي، الغذاء. وتغز: تفرق.

(٥) أي ليس العجان الذي يدفعه قومه وينحوونه لأنه ليس من رجال الحرب.

(٦) الكهام: الكليل. والمقنع: الذي عليه بيبة ومقبر. والحاسر: ضبه.

(٧) يقول: أبي الصبر معالم وأثارا أراها من آثارك فأذكرك إذا رأيتها فلا أقدر على الصبر. وبعد حبلك أقطعها: أي قد ذهب الوفاء.

(٨) ندمانا جذيمة: هما مالك وعقيل، نادما جذيمة الأبرش، وكانا ردا عليه ابن أخته عمرو بن عدي فسألهما حاجتهما فسألاه منادته، فكانا نديمه ثم قتلهمَا.

لِطُولِ أَجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتِ لِيَلَةً مَعًا  
 أَنِينًا فَأَبْكَى شَجْوُهَا الْبَرَكَ أَجْمَعًا<sup>(١)</sup>  
 رَأَيْنَ مَجَرًا مِنْ حَوَارٍ وَمَضِرَّاعًا<sup>(٢)</sup>  
 مُنَادٍ فَصَيْحَ بِالْفِرَاقِ فَأَشْمَعَا  
 ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُذْجَنَاتِ فَأَمْرَاعًا<sup>(٣)</sup>  
 قَيلَ لِعُمَرَ بْنِ بَخْرِ الْجَاحِظِ: إِنَّ الْأَصْمَعِيَ كَانَ يُسَمِّيُ هَذَا الشِّعْرَ أَمَّ  
 الْمَرَاثِي؛ فَقَالَ: لَمْ يَسْمَعْ الْأَصْمَعِيُّ:  
 أَئِ الْقُلُوبُ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَنْصَدِعُ وَأَئِ نَوْمٌ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ

\* \* \*

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: لَمْ يَتَنَاهِيَ أَحَدٌ مَرْثِيَةً بِأَحْسَنِ مِنْ أَبْتِدَاءِ أَوْسَ بْنِ  
 حَجَرِ:

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَخْوَلِيَ جَزَّاعًا إِنَّ الَّذِي تَخْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا  
 وَبَعْدَهَا قَوْلُ زُمَيْلٍ<sup>(٤)</sup>:

أَجَارَتْنَا مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَرَّقُ وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلحوادِثِ يَغْلِقِ

\* \* \*

قَالَ أَبْنَ إِسْحَاقَ صَاحِبُ الْمَغَازِيِّ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّفَرَاءَ –

(١) الشَّارِفُ: الْمَسْتَنَةُ مِنَ الْأَبْلَلِ، وَخَصَّهَا لِأَنَّهَا أَرَقُ مِنَ الْفَتَيَةِ لِبَعْدِهَا عَنِ الْوَلَدِ. وَالْبَرَكُ: الْأَلْفُ مِنَ الْجَمَالِ.

(٢) الْأَظَارُ: النُّوقُ يَعْطَفُنَّ عَلَى حَوَارٍ وَاحِدٍ. وَالرَّوَائِمُ: النُّوقُ تَعْطَفُ عَلَى ولَدَهَا. وَالْحَوَارُ: وَلَدُ النَّاقَةِ.

(٣) الْذَّهَابُ: جَمْعُ ذَهَبٍ وَهِيَ الْقَطْعَةُ مِنَ السَّحَابِ. وَالْغَوَادِيُّ: الْغَيْوَمُ الَّتِي تَغْدوُ بِالْمَطَرِ. وَالْمُذْجَنَاتُ: السَّحَبُ الْكَثِيفَةُ السُّودَاءُ. وَأَمْرَاعُ: أَخْصَبُ.

(٤) هُوَ زَمِيلُ بْنُ أَبِرْدِ الْفَزَارِيِّ.

وقال ابن هشام: الأثيل<sup>(١)</sup> - أمر علي بن أبي طالب بضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقة بن عبد مناف، صبرا<sup>(٢)</sup> بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت أخته قتيلة<sup>(٣)</sup> بنت الحارث ترثيه:

يا راكبا إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق  
 أبلغ بها ميئا بأن تحيى ما إن تزال بها النجائب تتحقق<sup>(٤)</sup>  
 متى إليك وعبرة مسفوحة جادت بواكفها<sup>(٥)</sup> وأخرى تتحقق  
 هل يسمعني النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق  
 محمد يا خير ضئل<sup>(٦)</sup> كريمة في قومها والفالح فخل مغريق  
 ما كان ضرك لو مئت وربما من الفتى وهو المغيظ المخنط  
 فالنضر أقرب من أسرت فراية وأحقهم إن كان عشق يعتقد  
 ظلت سيفبني أبيه توشه<sup>(٧)</sup> الله أرحام هناك تشدق  
 صبرا يقاد إلى المنية متعينا رسف المقيد وهو عان موثق<sup>(٨)</sup>  
 قال ابن هشام: قال النبي ﷺ لما بلغه هذا الشعر: لو بلغني قبل قتله ما قتله.

\* \* \*

(١) الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء.

(٢) يقال للرجل يقدم فيضرب عنقه: قتل صبرا، يعني أنه أمسك على الموت، وكذلك كل مقتول في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبرا.

(٣) قتيلة: هي بنت النضر لا اخته.

(٤) النجائب: الإبل الكريمة. وتحقق: تسع.

(٥) الراكف: السائل.

(٦) الضئل: النسل.

(٧) توشه: تناوبه.

(٨) رسف المقيد: مشيه. والعاني: الأسير.

قال الأصمبي: نظر عمر بن الخطاب إلى الخنساء وبها ندوب في وجهها، فقال: ما هذه الثدوبيا خنساء؟ قالت: من طول البكاء على أخوي؛ قال لها: أخواك في النار؛ قالت: ذلك أطول لحزني عليهما، إني كنت أشقيق عليهما من النار، وأنا اليوم أبكي لهما من النار، وأنشدت: وقائلة والتعش قد فات خطوها لتندركه: يا لهف نفسي على صخر إلا تكلت أم الذين عدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

\* \* \*

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعليها صدار من شعر قد أستشعرته إلى جلدها، فقالت لها: ما هذا يا خنساء؟ فوالله لقد ثوفي رسول الله ﷺ مما ليس به؛ قالت: إن له معنى دعاني إلى لباسه، وذلك أن أبي زوجني سيد قومه، وكان رجلاً مثلاً فأشرف في ماله حتى أنهده، ثم رجع في مالي فأنده أيضاً، ثم التفت إلي ف قال: إلى أين يا خنساء؟ قلت: إلى أخي صخر. قالت: فأتيناها فقسم، ماله شطرين، ثم خيرنا في أحسن الشطرين، فرجعنا من عنده، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعه. ثم التفت إلي، فقال لي: إلى أين يا خنساء؟ قلت: إلى أخي صخر. قالت: فرحتنا إليه، ثم قسم ماله شطرين، وخيرنا في أفضل الشطرين. فقالت له زوجته: أما ترضى أن تشارطهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين؟ فقال:

والله لا أفتحها شرارها فلو هلكت قدّدت خمارها  
وأخذت من شعر صدارها وهي حسان قد كفشي عارها

\* \* \*

وقالت الخنساء تزني أخاهما صخر بن الشريد:  
قدّى بعينك أم بالعين عوار أم أفترث إذ خللت من أهلها الدار

كأن عيني لذكره إذا خطرت  
 فالعين تبكي على صخر وحق لها  
 بكاء والهبة ضلت أليقتها  
 لها حنيناً إصغر وإكباراً<sup>(١)</sup>  
 تزعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت  
 وإن صخراً لتأتم الهدأة به  
 كأنه عالم في رأسه نار  
 حامي الحقيقة محمود الخلقة منه  
 بدئي الطريقة نفاع وضرار

\* \* \*

وقالت أيضاً:

أعيني جوداً ولا تجدها  
 ألا تبكيان الصخر الثدي  
 ألا تبكيان الفتى السيدا  
 طويلاً النجاد رفيع العما  
 يحمله القوم ما غالهم  
 وإن كان أصغرهم مولداً  
 جموع الضيوف إلى بابه

\* \* \*

وقالت أخت الوليد بن طريف ترثي أخاه الوليد بن طريف:  
 أيها شجر الخابور ما لك مورقاً  
 كأنك لم تجنع على ابن طريف  
 فتى لا يريد العزة إلا من الثقى  
 ولا المال إلا من قنَا وسيوف  
 ولا الذخر إلا كل جراء صلدم<sup>(٢)</sup> وكل رقيق الشفتين حليف

(١) إصغرها: حنينها إذا خضته. وإكبارها: حنينها إذا رفعته.

(٢) الجراء: القصيرة الشعر. والصلدم: الشديدة الحافر.

فَقَدْنَاهُ فِقدانَ الرَّبِيعِ فَلِيَتَنَا  
خَفِيفٌ عَلَى ظَهَرِ الْجَوَادِ إِذَا غَدَا  
وَلَيْسَ عَلَى أَغْدَاهُ بِخَفِيفٍ  
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَفَقَاءُ فَإِنْشِي  
أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا بِكُلِّ شَرِيفٍ

\* \* \*

وقال آخر يرثي أخيه:

أَخْ طَالِمَا سَرَنِي ذِكْرُهُ  
فَقَدْ صِرْثُ أَشْجَنِي إِلَى ذِكْرِهِ  
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ  
وَكُنْتُ أَرَانِي غَنِيًّا بِهِ  
عَنِ النَّاسِ لَوْ مُدَّ فِي عُمْرِهِ  
وَكُنْتُ إِذَا جِئْتُهُ زائِرًا فَأَمْرِي يَجْؤُزُ عَلَى أَمْرِهِ

\* \* \*

وقال كعب يرثي أخيه أبي المغوار<sup>(١)</sup>:

تَقُولُ سُلَيْمَى مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا  
كَائِنَكَ يَخْمِيكَ الطَّعَامَ طَبِيبُ  
فَقُلْتُ شُجُونُ مِنْ حُطُوبٍ تَتَابِعُتْ  
عَلَيَّ كِبَارُ الْزَّمَانُ يَرِيبُ  
لَعْمَرِي لَئِنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةً  
أَخِي فَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شَعُوبُ<sup>(٢)</sup>  
فَإِنِّي لَبَاكِيهِ وَإِنِّي لصَادِقٌ  
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشُ عَنْدَ بَيْتِهِ  
أَخْ كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينِي  
هُوَ الْعَسْلُ الْمَاذِي لِيَنَا وَشِيمَةً<sup>(٣)</sup>

(١) اسم أبي المغوار على الأصح هرم؛ وقيل شبيب.

(٢) شعوب: أي مفرقة.

(٣) الماذِي: الأبيض، وهو أجود العسل. وقطوب: عابس.

وَمَاذَا يَرُدُ اللَّيلُ حِينَ يَؤْوِبُ  
 إِذَا أَبْتَرَ الْخَيْلَ الرَّجَالُ يَخِيبُ  
 فَلَمْ يَسْتَجِنْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ  
 لِعَلَّ أَبَا الْمَغَوارِ مِثْكَ قَرِيبُ  
 بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ الذَّرَاعِ أَرِيبُ  
 فَكِيفَ وَهَاتِي هَضْبَةُ وَكَثِيبُ  
 بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ التَّفَوْسُ تَطْبِيبُ  
 أَنَا الْغَائِمُ الْجَذْلَانُ حِينَ يَؤْوِبُ  
 عَلَى يَوْمِهِ عِلْقُ<sup>(١)</sup> إِلَيْيَ حَبِيبُ  
 قُطْوبُ عَلَى آثَارِهِنَّ نُوكُوبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَا اهْتَزَ فِي فَزْعِ الْأَرَاكَ قَضِيبُ<sup>(٣)</sup>  
 إِلَيْيَ لَقْدِ عَادَتْ لَهُنَّ دُّنْوبُ

هَوَتْ أُمَّهُ<sup>(٤)</sup> مَا يَتَعَثُ الصُّبْحُ غَادِيَا  
 كَعَالِيَّ الرُّمْحُ الرُّدَنِيُّ لَمْ يَكُنْ  
 وَدَاعِ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَا  
 فَقَلَتْ أَدْعَأُخْرَى وَارْفَعَ الصَّوْتَ ثَانِيَا  
 يُجِبْكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ  
 وَحَدَّشْمَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقَرِي  
 فَلَوْ كَانَ الْمَوْتَى ثَبَاعَ اشْتَرِيتُهُ  
 يُعِينِي أَوْ يُمْنِي يَدَيَ وَخِلْشَنِي  
 لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى  
 أَتَى دُونْ حُلُو الْعَيْشَ حَتَّى أَمْرَأَهُ  
 فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَ شَارِقُ  
 فَإِنْ تَكُنْ الأَيَامُ أَخْسَنَ مَرَّةً

\* \* \*

(١) هَوَتْ أُمَّهُ: دُعَاءٌ عَلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ التَّعْجِبُ. وَيُرِيدُ هَذَا اسْتِعْظَامُ الْحَزَنِ عَلَيْهِ.

(٢) عِلْقُ: التَّفِيسُ.

(٣) نُوكُوبُ: مَصَابُ.

(٤) ذَرَ شَارِقُ: أَشْرَقَتْ شَمْسُ. الْأَرَاكُ: نَوْعٌ مِّن الشَّجَرِ.

## الفصل الرابع: في رثاء الزوجة

### جرير يرثي زوجته

هو أبو حربة جرير بن عطية (٣٣ هـ / ٦٥٣ م - ١١٤ هـ / ٧٣٣ م) اشتهر بالهجاء، وراح يرمي به الخصوم قوياً شديداً للهجة، فذاع صيته، وردّدت اسمه الركبان. نشببت بينه وبين الفرزدق حرب هجائية دامت خمسين سنة، كان الشاعر منها ينظم القصيدة ويبعث بها إلى خصمه، فينقض الخصم ما قيل فيها بقصيدة ينظمها على الوزن نفسه، والقافية نفسها. سُمِّيت تلك القصائد «المناقض».

له ديوان شعرى في المدح، والرثاء، والغزل، والهجاء. ورثاء جرير سواء أكان في ذويه أم في غيرهم، هو رثاء من يشعر بالمحببة شعوراً عميقاً، فينهض لها كيانه، ثم يطلق اللسان فيما يفيض من القلب، وإذا اللسان ترجمان النفس، والألفاظ أنفاس حارة، وإذا الشعر يسيل سيلان الدموع المنهمرة، في انسجام، وسهولة، ورقّة؛ وإذا أمامك مشهد مؤلم، هو مشهد تراءى فيه ذكريات الرجل أحبة وصفات محببة إلى كل نفس، وأعمالاً غرّاء؛ وإذا الشاعر ينطلق بين المناجاة، والنداء، ومخاطبة الميت، والأخبار، رائع الأسلوب، عجيب السلasse؛ وإذا الزفرات المتتصاعدة أدعية واستلفارًا تقف بين المقطع والمقطع، وبين الفكرة وال فكرة، شرارات تعصر القلوب وتستقطر الجفون.

ومن قصيدة طويلة وجهها إلى خصمه الفرزدق هاجياً، افتتحها برثاء

امرأته، فقال:

لَوْلَا الْحَيَاةُ، لَعَادَنِي أَسْتِغْبَارٌ،  
وَلَقَدْ نَظَرْتُ، وَمَا تَمَثَّلُ نَظَرَةً  
وَلَهْتِ قَلْبِي، إِذْ عَانَتِي كَبَرَةً،  
أَزْعَى الْشُّجُومَ، وَقَدْ مَضَتْ غُورِيَّةً،  
نِعْمَ الْقَرِينُ، وَكُنْتِ عِلْقَ مَضَّةً  
عَمَرَتْ مُكَرَّمَةً الْمَسَاكِ وَفَارَقْتُ  
فَسَقَى صَدَى جَدَّثٍ، بِبُرْقَةٍ ضَاحِكٍ  
هَزِمْ أَجَشُّ، إِذَا أَسْتَحَارَ يَبْلَدَةً  
مُتَرَاكِمٌ زَجْلٌ يُضِيءُ وَمِبْضَهُ  
كَانَتْ مُكَرَّمَةً الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ  
وَلَقَدْ أَرَاكِ كُسِيتٍ أَجْمَلَ مِنْظَرٍ

(١) استubar: بكاء. بيتك: قبرك.

(٢) المحفار: آلة الحفر.

(٣) ولها: حزينة أشد الحزن. التمام: ج قيمـة وهي خرزة أو عودة تعلق في عنق الولد دفعـا للأخطر.

(٤) الغوريـة: التي تأخذ الغور للغروب والسقوط: العصب: الجماعـات. الصوار: قطـيع بقر الوحش.

(٥) العلق: النـفـس من كل شيء. المضـنة: ما يـضـنـ بهـ النـعـفـ: أسـفلـ الجـبـلـ وأـعـلـىـ الوـادـيـ. بلـيـةـ: اـسـمـ موـضـعـ.

(٦) المسـاكـ: اـسـمـ الإـمـساـكـ. الـصـلـفـ: بـغضـنـ مـنـ الزـوـجـ. الإـقـتـارـ. العـسـرـ.

(٧) الصـدـىـ: كانـ العـربـ يـعـقـدونـ بـأنـهـ يـخـرـجـ مـنـ رـأسـ الـقـتـيلـ طـيرـ يـسمـونـهـ «صـدـىـ» يـظلـ عـطـشـانـ يـصـبـحـ «اسـقـونـيـ» حتـىـ يـؤـخـذـ بـثـارـهـ. الـهـزـمـ: السـحـابـ الـرـاعـدـ. الـأـجـشـ: الـغـليـظـ الصـوتـ مـنـ الرـعدـ. بـرـقةـ ضـاحـكـ: اـسـمـ موـضـعـ.

(٨) الجـوـاءـ: جـ جـوـ وهوـ النـاحـيـةـ وـالـجـهـةـ.

(٩) زـجلـ: ذوـ جـلـبةـ، الـبـلـقـ جـ أـبـلـقـ وـهـوـ مـاـ كـانـ فـيـ لـوـنـهـ سـوـادـ وـبـيـاضـ.

(١٠) الغـوـائـلـ: الـمـصـائبـ.

وَالرِّيحُ طَيْبَةٌ إِذَا أَسْتَفَلْتِهَا  
 وَإِذَا سَرَيْتُ رَأْيَثُ تَارِكَ نَوْرَتِ  
 صَلَى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ شُحِّنُوا  
 وَعَلَيْنِكِ مِنْ صَلَواتِ رَبِّكَ كُلُّمَا  
 يَا نَظَرَةً لَكِ، يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةُ  
 شُخْبِي الرَّوَامِسُ رَيْنَعَهَا، فَتَجِدُهُ  
 وَكَانَ مَنْزَلَةُ لَهَا، بِحُلَاجِلِ  
 لَا تُكْثِرَنَّ، إِذَا جَعَلْتَ تَلُومِنِي  
 كَانَ الْخَلِيلُ هُمُ الْخَلِيلُ، فَأَضْبَحُوكُوا  
 لَيْلَ يَكْرُرُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٍ!

\* \* \*

(١) الخوار: الضعيف.

(٢) نصب: تعب. الحجيج: حاج. ملبدين: مقيمين. غار الرجل: نام.

(٣) الروامس: الرياح.

(٤) الزبور: المزامير. تجده: تكتبه فتحكمه.

## ديك الجنّ يرثي زوجته

هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي (١٦١هـ / ٧٧٨م - ٢٣٥هـ / ٨٥٠م) المعروف بديك الجنّ، شاعر مجيد فيه مجون، من شعراء العصر العباسي. سمي بديك الجنّ لأنّ عينيه كانتا خضراوين. أصله من سلمية (قرب حماة)، وموالده ووفاته بحمص في سوريا. لم يفارق بلاد الشام. ولم ينطبع بشعره. له «ديوان شعر»<sup>(١)</sup>.

ولديك الجن قصبة طريفة مع زوجته، ورد ملخصها أنه أحب فتاة نصرانية تدعى ورد، فتزوجها بعدما اعتنق الإسلام، وعاشا معاً حياة هانئة سعيدة. وعندما ساءت حال ديك الجن المادية، قصد صديقه أحمد بن علي الهاشمي في سلمية، وأقام عنده مدة. وفي أثناء ذلك لفق ابن عمّه أبو الطيب خبر علاقة ورد بأحد غلمان الشاعر المدعو بكر، وكان أبو الطيب يبغض الشاعر لهجائه له.

شاع خبر علاقة ورد ببكر، حتى وصل إلى مسامع ديك الجن الذي استأذن صديقه أحمد في العودة إلى حمص، وكان أن نجحت المؤامرة، فقتل ديك الجن زوجته ورد وعشيقها المزعوم بكر. وبعد مدة عرف الحقيقة، فندم ندماً كبيراً على فعلته وراح يبكي زوجته طوال حياته. ومما قال فيها بعد موتها نقتطف ما يلي: [من الطويل]

وأنستِ عذب الثنایا وجدُّها على خطّة فيها لذِي اللَّبِ متلفُ

(١) الزركلي: الأعلام ٤/٥.

فأصلت حَدُّ السيف في حرّ وجهها  
فخرّت كما خرّت مهأة أصابعها  
سيقتلني حزناً عليها تأسفي  
وقلبي عليها من جوى الوجدي رجفٌ  
آخر قنصٍ مستعجلٍ متعرّضٌ  
وهيهات ما يُجدي عليّ التأسفُ

\* \* \*

يا طلعة طلع الجمام<sup>(١)</sup> عليها  
رويَت من دمها الثرى ولطالما  
قد بات سيفي في مجال وشاحها  
فوحّق نغلبها وما وطع الحصى  
ما كان قتليها لأنّي لم أكن  
لكن ضئشت على العيون بحسينها  
وجنى لها تمر الردى بيديها  
رؤى الهوى شفتى من شفتتها  
ومدامعي تجري على خديها  
شيءٌ أعزٌ على من نعليها  
أبكي إذا سقط الغبار عليها  
وأنفث من نظر الحسود إليها

\* \* \*

---

(١) الجمام والردى: الموت.

## نزار قباني يرثي زوجته

شاعر من كبار الشعراء العرب المعاصرين، فلسطيني الأصل، سوري المولد والجنسية، لبناني الإقامة والهوى. ولد في دمشق في السنة ١٩٣٢ هـ / ١٣٤٢ م، وتخرج في الجامعة السورية بإجازة في الحقوق، وخدم وطنه في السلك الدبلوماسي ما بين ١٩٤٥ م، والسنة ١٩٦٦ م. يعتبر من كبار المجددين في الأدب العربي المعاصر. لقب بـ«شاعر المرأة»، واشتهر بالغزل، لا بالرثاء، ولكن له قصيدة طويلة قالها في رثاء زوجته العراقية بلقيس عندما قُتلت بانفجار في بيروت، وهي تدلّ على أنّ عبرية الشاعر لا تقتصر على ضرب من ضروب الفن الغنائي، فالمبديع المُجيد يُبدع ويُجيد في أي فنّ غنائي عزف على أوتاره. وفيما يلي بعض المقاطع من هذه القصيدة:

\* \* \*

شكراً لكم . . .

شكراً لكم

فَحَبِّيَّتِي قُتِلَتْ، وَصَارَ بِوْسِعِكُمْ

أَنْ تَشَرِّبُوا كَأسَا عَلَى قَبْرِ الشَّهِيدَةِ

وَقَصِيدَتِي اغْتِيلَتْ . . .

وِهَلْ مِنْ أُمَّةٍ فِي الْأَرْضِ

إِلَّا نَحْنُ نَعْتَالُ الْقَصِيْدَه

\* \* \*

بَلْقَيْسُ . . .

كَانَتْ أَجْمَلَ الْمَلِكَاتِ فِي تَارِيخِ بَابِلْ  
بَلْقَيْسُ . . .

كَانَتْ أَطْوَلَ التَّخَلَّاتِ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ  
كَانَتْ إِذَا تَمْشَى  
ثُرَافِقُهَا طَوَّا وِيسُ . . .  
وَتَتَبَعُهَا أَيَائِلُ . . .  
بَلْقَيْسُ . . . يَا وَجَعِي . . .

وَيَا وَجَعَ الْقَصِيْدَه تَلْمَسُهَا الْأَنَاءِلْ  
هَلْ يَا ثَرَى . . .

مِنْ بَغْدَادْ شَغْرِيكِ سَوْفَ تَرْتَفَعُ السَّنَابِلْ؟؟؟

\* \* \*

يَا نَيَّوِي الْخَضْرَاءِ  
يَا غَجَرِيَّيِ الشَّفْرَاءِ  
يَا أَمْوَاجَ دِجلَّه

تلبسُ في الرَّبِيعِ بِسَاقِهَا

أَخْلَى الْخَلَاجِلَ

\* \* \*

بَلْقِيسُ

لَا تَتَغَيِّبِي عَنِي

فَإِنَّ الشَّمْسَ بَعْدِكِ

لَا تُضِيءُ عَلَى السَّوَاحِلِ

\* \* \*

بَلْقِيسُ !

أَيْتَهَا الشَّهِيدَةُ .. وَالْقَصِيلَةُ

وَالْمُطَهَّرَةُ النَّقِيَّةُ ..

سَبَّا تَفَشُّ عَنْ مَلِيكَتِهَا

فَرُدُّي لِلجماهِيرِ التَّجِيَّةِ

\* \* \*

الموثُ في فُشْجانٍ فَهُوَتِنَا ..

وَفِي مَفْتَاحٍ شِفَقَتِنَا ..

وَفِي أَزْهَارٍ شُرْقَتِنَا ..

وفي ورق الجرائد ..

والحروف الأبجدية ..

\* \* \*

بلقيس ..

يا عطراً يذاكري

ويا قبراً يسامر في الغمام

قتلوك، في بيروت، مثل أي غزالٍ

من بعدها .. قتلوا الكلام

\* \* \*

بلقيس

مشتاقون .. مشتاقون .. مشتاقون ..

والبيت الصغير ..

يسائل عن أميرته المعطرة الذيل

تضعي إلى الأخبار .. الأخبار غامضة

ولا تزوي فضول

\* \* \*

بلقيس ..

مذبحون حتى العظم

والأولاد لا يذرون ما يجربون

ولا أدرِي أنا ماذا أقول

\* \* \*

هل تفرعنين البابَ بعْدَ دُقائقِي

هل تخليعنَ المَعْطَفَ الشَّتْوِيَّ

هل تأتينَ باسِمَةَ . . .

وناضِرَةَ . . .

ومُشِرقَةَ كَأْزَهَارِ الْحُكُولِ

\* \* \*

بِلْقِيسُ . . .

إِنْ رُرُوعَكِ الْخَضْرَاءِ

ما زالتَ عَلَى الْحِيطَانِ باكِيةَ

وَوَجْهَكِ لَمْ يَزَلْ مُتَنَقْلًا

بَيْنَ الْمَرَايَا وَالسَّتَّائِرِ

حَتَّى سُجَارَتِكِ التِّي أَشْعَلْتِها

لَمْ تَنْطَفِئْ غَ

وَدُخَانُها

ما زال يرُفِضُ أنْ يُسافِر

\* \* \*

بِلْقَيْسُ . .

مَطْعُونَ مَطْعُونَ فِي الْأَعْمَاقِ

وَالْأَخْدَاقُ يَسْكُنُهَا الذُّهُولُ

بِلْقَيْسُ . .

كَيْفَ أَخَذْتِ أَيَامِي وَأَحَلامِي

وَأَغْيَثْتِ الْحَدَائِقَ وَالْفُصُولُ؟!!

\* \* \*

يَا زَوْجَتِي . .

وَحْبِيْبِي . . وَقَصِيدَتِي . . وَضِيَاءَ عَيْنِي

فَذَكْرِتِي عَصْفُوريُ الْجَمِيلُ

فَكِيفَ هَرَبْتِ يَا بِلْقَيْسُ مَنِي؟

\* \* \*

بِلْقَيْسُ . .

هَذَا مَوْعِدُ الشَّايِ الْعِرَاقِيِّ الْمَعَطَّرِ

وَالْمُعَنَّى كَالسَّلَافَةُ

فَمَنِ الَّذِي سَيُوزِعُ الْأَقْدَاحَ أَيْثَمَا الزَّرَافَةُ

وَمَنِ الَّذِي نَقَلَ الْفُرَاتَ لِبَيْتِنَا

وَوَرَوْدَ دِجلَةَ وَالرَّصَافَةَ

\* \* \*

بَلْقِيسُ . . .

يَا بَلْقِيسُ . . .

يَا بَلْقِيسُ . . .

كُلُّ عَمَامَةٍ تَبَكِي عَلَيْنِكِ

فَمَنْ تُرَى يَتَبَكِي عَلَيَّ

بَلْقِيسُ . . . كَيْفَ رَحَلْتِ صَامِيَّةَ

وَلَمْ تَضَعِي يَدِيَكِ عَلَى يَدَيَّا؟

\* \* \*

بَلْقِيسُ . . .

أَسْأَلُكَ السَّمَاحَ، فَرِبِّيَّا

كَانَتْ حَيَاتِكِ فِذِيَّةَ لِحَيَاَتِي

إِنِّي لَا أَغْرِفُ جَيَّداً

أَنَّ الَّذِينَ تَوَرَّطُوا فِي القَتْلِ كَانُوا مُرَادُهُمْ

أَنْ يَقْتُلُوا كَلِمَاتِي.

نامي بِحَفْظِ اللهِ، أَيْتُهَا الْجَمِيلَةِ  
فَالشَّغْرُ بَعْدَكِ مُسْتَحِيلٌ  
وَالْأَثْوَرُ مُسْتَحِيلَةٌ  
سَتَظْلُلُ أَجْيَالٍ مِّنَ الْأَطْفَالِ  
تَسْأَلُ عَنْ ضَقَائِيرِكَ الطَّوِيلَةِ  
وَتَظْلُلُ أَجْيَالٍ مِّنَ الْعُشَاقِ  
تَقْرَأُ عَنْكِ أَيْتُهَا الْمَعْلُومَةُ الْأَصْبِيلَةُ . . .

\* \* \*

## الفصل الخامس: في رثاء الزوج

### لبانة بنت علي بن ربيطة ترثي زوجها

هي شاعرة من شواعر العرب في العصر العباسي، كانت من أجمل نساء عصرها، تزوجها محمد بن هارون الرشيد، لكنه سرعان ما قُتل عنها، ولم يُبَيِّن بها، فقالت ترثيه:

أبكِيكَ لا للثعيمِ والأشِينِ  
بل للمعالِي والرَّمِحِ والفرسِ  
يا فارساً بالعراءِ مطرحاً  
خانته قواده مع الحرسِ  
أبكي على سيدِ فجعت به  
أزملنِي قبل ليلةِ العرسِ  
أمَّ من لبرٌ أمَّ من لعائدةٍ  
أمَّ من لذكرِ الإلهِ في الغليسِ  
مَن للحروبِ التي تكونُ لها  
إنْ أضرِمت نارُها بلا قبسٍ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

### أعرابية ترثي زوجها

قالت أعرابية ترثي زوجها<sup>(٢)</sup>:

كتنا كَغضَنِين في جرثومَة<sup>(٣)</sup> سَمَوا حيناً بِأحسِنِ ما تسمو له الشَّجَرُ

(١) العقد الفريد ٢٧٧/٣.

(٢) عن العقد الفريد ٢٧٧/٣؛ وفي عيون الأخبار ٧٥/٣ أنَّ الأبيات لصفية الباهرية ترثي أخاهما.

(٣) الجرثومَة: الأصل.

حتى إذا قيل قد طالث فروعهما وطاب قنواهما<sup>(١)</sup> واستئنطر الشمر  
أخنى على واحد ريب الزمان وما يُبقي الزمان على شيء ولا يذر<sup>(٢)</sup>  
كتنا كأنجم ليل بينها فَمَرْ يجلو الْدُجْيَ فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ

\* \* \*

---

(١) القنو: العنق، وهو من التخل كالعنقود من العنب.

(٢) أخنى عليه الزمان: أهلكه. ريب الزمان: مصابيه. يذر: يترك.

## الباب السابع

# في التعازي<sup>(١)</sup>

---

(١) أخذنا هذا الملحق من كتاب «العقد الفريد».

قال عبد الرحمن بن أبي بكر لسليمان بن عبد الملك يُعزِّيه في ابنه  
أبيوب و كان ولِي عهده وأكبر ولده: يا أمير المؤمنين، إنه من طال عمره فَقدَ  
أحْبَطَهُ، ومن قَصْرَ عُمرِهِ كَانَتْ مُصِيبَتُهُ فِي نَفْسِهِ. فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مِيزَانِكَ  
لَكُثُرَتْ فِي مِيزَانِهِ.

\* \* \*

وَكَتَبَ الْحَسْنُ بْنُ أَبِي الْحَسْنِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُعْزِّيْهِ فِي أَبِنِهِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ:

وَعُوْضَتْ أَجْرًا مِنْ فَقِيدٍ فَلَا يَكُنْ فَقِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ

\* \* \*

قال العَثَبِيُّ: قال عبد الله بن الأفثم: مات لي ابن وأنا بمكة فجزِغْتُ  
عليه جَزَعاً شديداً، فَدَخَلَ عَلَيَّ أَبْنُ جُرَيْجَ يُعَزِّيْنِي، فقال لي: يا أبا محمد،  
أَشْلُ صَبَراً وَأَخْتِسَابَاً قَبْلَ أَنْ تَسْلُوْ غَفْلَةً وَنِسْيَانَ كَمَا تَسْلُوْ الْبَهَائِمُ. وَهَذَا  
الْكَلَامُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهَهُ يُعَزِّيْ بِهِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فِي أَبْنِ  
لَهُ، وَمِنْهُ أَخْذَهُ أَبْنُ جُرَيْجَ. وَقَدْ ذَكَرَهُ حَبِيبٌ فِي شِعْرِهِ فَقَالَ:

وَقَالَ عَلَيِّ فِي التَّعَازِيِّ لِأَشْعَثِ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضَ تِلْكَ الْمَائِمِ  
أَتَضِيرُ لِلْبُلُوْيَ عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُؤْجَرَ أَمْ تَسْلُوْ سُلُوْ الْبَهَائِمُ

\* \* \*

أتى عليٌّ بنُ أبي طالب كَرَمَ الله وجهه لأشعث يُعزِّيه عن ابنه، فقال:  
إن تَخْرَنْ فقد أَسْتَحْقَتْ ذلك مِنْكَ الرَّحْمَنْ، وإن تَضَبَّرْ فَإِنَّ فِي الله خَلْفًا من  
كُلِّ هَالِكَ، مع أَنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرَ وَأَنْتَ مَاجُورٌ، وإن  
جَزِّغْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرَ وَأَنْتَ آثِمٌ.

\* \* \*

وعَزَّى أَبْنُ السَّمَاكَ رجلاً فقال: عليك بالصَّابِرِ، فيه يَغْمُلُ من  
أَحْتَسَبَ، وإِلَيْهِ يَصِيرُ مَنْ جُزِعَ، واعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مُصِيبَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا أَعْظَمُ  
مِنْهَا مَنْ طَاعَةُ الله فِيهَا أَوْ مَغْصِيَتِهِ بِهَا.

\* \* \*

قال الأصمسي: عَزَّى صالحُ الْمُرْيَ رجلاً بْنَهِ، فقال له: إِنْ كَانَتْ  
مُصِيبَتِكَ لَمْ تُخْدِثْ لَكَ مَوْعِذَةً فَمُصِيبَتِكَ بِنَفْسِكَ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَتِكَ  
بْنَهِ، وَاعْلَمَ أَنَّ التَّهْبِيَّةَ عَلَى آجِلِ الثَّوَابِ أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيَّةِ عَلَى عَاجِلِ  
الْمُصِيبَةِ.

\* \* \*

قال العُثْبَانِي: عَزَّى أبي رجلاً فقال: إنما يَسْتَوْجِبُ عَلَى الله وَغَدَهُ مَنْ  
صَبَرَ لِحَقِّهِ، فَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَا فُجِعْتَ بِهِ الْفَجْيَعَةُ بِالْأَجْرِ، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ  
الْمُصِيبَتَيْنِ عَلَيْكَ، وَلَكُلَّ اجْتِمَاعٍ فُرْقَةٌ إِلَى دَارِ الْحُلُولِ.

\* \* \*

عَزَّى عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي بُنَيَّ  
لَهُ صَغِيرٍ، فقال: عَوْضُكَ اللَّهُ مِنْهُ مَا عَوْضَهُ اللَّهُ مِنْكَ.

\* \* \*

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا عَزَّى قَوْمًا قَالَ: عَلَيْكُمْ  
بِالصَّابِرِ، فَإِنَّ بَهِ يَأْخُذُ الْحَازِمَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْجَازِعَ.

وكان الحسن يقول في المُصيبة: الحمد لله الذي آجرنا على ما لو  
كُلّفنا غيره لعجزنا عنه.

\* \* \*

## كتاب تعزية

أما بعد، فإن أحق من تعزى، وأولى من تأسى وسلم لأمر الله، وقبل تأدبه في الصبر على نكبات الدنيا، وتجرع شخص البُلوى، من تنجز من الله وعده، وفهم عن كتابه أمره، وأخلص له نفسه، واعترف له بما هو أهله. وفي كتاب الله سلوة من فقد كل حبيب وإن لم تطب النفس عنه، وأئن من كل فقيد وإن عظمت اللوعة به، إذ يقول عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> وحيث يقول: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. الموت سبيل الماضين والغابرين، ومورِد الخلاائق أجمعين، وفي أنبياء الله وسالِفِ أوليائه أفضل العبرة، وأحسن الأسوة، فهل أحد منهم إلا وقد أخذ من فجائع الدنيا بأجزل العطاء، ومن الصبر عليها باحتساب الأجر فيها بأوفر الأنصياء؛ فُجع نبينا عليه الصلاة والسلام بابنه إبراهيم، وكان ذخر الإيمان، وقرأ عين الإسلام، وعقب الطهارة، وسليل الوحي، ونتيجة الرحمة، وحضيـن الملائكة، وبقيـة آل إبراهيم وإسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين وعلى عامة الأنبياء والمُرسـلين، فعمـت الثقلـين مـصـيـبـتهـ، وـخـصـتـ الملـائـكـةـ رـزـيـتـهـ، وـرـضـيـ يـعـلـيـ اللهـ مـنـ فـرـاقـهـ بـثـوابـ اللهـ بـدـلـاـ، وـمـنـ قـيـدـانـهـ عـوـضاـ، فـشـكـرـ قـضـاهـ، وـاتـبعـ رـضـاهـ، فـقـالـ: يـخـزـنـ القـلـبـ وـتـذـمـعـ العـيـنـ، وـلـاـ تـقـولـ ماـ يـسـخـطـ الرـبـ، وـإـنـاـ بـكـ يـاـ إـبـرـاهـيـمـ لـمـخـزـونـونـ. وـإـذـاـ تـأـمـلـ ذـوـ النـظـرـ ماـ هـوـ مـشـفـيـ عـلـيـهـ مـنـ غـيـرـ الدـنـيـاـ، وـأـنـتـصـحـ نـفـسـهـ وـفـكـرـهـ فـيـ غـيـرـهاـ بـتـنـقـلـ الـأـحـوالـ،

(١) القصص: ٨٨

(٢) البقرة: ١٥٦ و ١٥٧

وتقاربِ الآجال، وأنقطاع يسير هذه المدة، ذلت الدنيا عنده، وهانت المصائب عليه، وسهلت الفجائع لديه، فأخذ للأمر أهبه، وأعد للموت عدته. ومن صاحب الدنيا بحسن رؤية، ولا حظها بعين الحقيقة، كان على بصيرة من وشك زوالها. قال النبي ﷺ: اذكروا الموت فإنه هادم اللذات، ومُنْعَصٌ الشهوات. وليس شيء مما اقتضي إلا وقد جعلك الله مقدماً في العلم به. ولعمري إن الخطيب فيما أصبت به لعظيم، غير أن تعوضه من الأجر والمثوبة عليه بحسن الصبر يهونان الرزية وإن ثقلت، ويُسْهِلُان الخطيب وإن عظم. وهب الله لك من عصمة الصبر ما يكمل لك به زلفي الفائزين، ومزيد الشاكرين، وجعلك من المرتضين قولًا وفعلًا، الذين أعطاهم الحسنة، ووقفهم للصبر والتفوى.

\* \* \*

قال محمد بن الفضل عن أبي حازم: مات عقبة بن عياض بن عثم الفهري، فعزى رجل أباه فقال: لا ترجع عليه فقد قُتل شهيداً؛ فقال: وكيف أجزع على من كان في حياته زينة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات.

\* \* \*

قال ابن الغاز: حدثنا عيسى بن إسماعيل قال: سمعت الأصممي يقول: دخلت على جعفر بن سليمان وقد ترك الطعام جزعاً على أخيه محمد بن سليمان، فأنسدته بيته، فما برحت حتى دعا بالمائدة. فقلت للأصممي: ما هما، فسكت: فسألته، فقال: أتدري ما قال الأحوص؟ قلت: لا أدرى؛ قال: قال الأحوص:

قد زاده كلّا بالحب إذ منعت أحب شيء إلى الإنسان ما مِنْعا

\* \* \*

قال أبو موسى: والأبيات لأراكة الثقفي يرثي بها عمرو بن أراكة

ويُعزّي نفسه حيث يقول:

لَعْمَرِي لَئِنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَكَ مَا مَضَى  
بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقَ الْحِمَامُ إِلَى الْقَبْرِ  
لَتَسْتَئْفِدَنْ مَاءَ الشَّوَّوْنِ بِأَشْرِهِ  
إِنْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ ثَبَّجَ الْبَخْرِ<sup>(١)</sup>  
تَبَيَّنَ فَإِنْ كَانَ الْبُكَارَدَ هَالِكَا  
عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاكَ عَلَى عَمْرَوْ  
فَلَا تَبَكِ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتَ أَجْنَهِ<sup>(٢)</sup> عَلَيَّ وَعَبَّاسُ وَأَلْ أَبِي بَخْرِ

\* \* \*

قال أبو عمر بن يزيد: لما مات أخوه مالك بن دينار، بكى مالك،  
وقال: يا أخي، لا تَقْرُءْ عَيْنِي بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار،  
ولا أعلم ذلك حتى أحق بك.

\* \* \*

وقالت أعرابية، ورأت ميتاً يُدْفَنُ: جافى الله عن جَثْنِيهِ الثَّرَى وأعانه  
على طول الْبَلَى.

\* \* \*

وعَزَّى أَعْرَابِيُّ رجلاً فقال: أوصيك بالرُّضا من الله بقضائه، والتنجُّز  
لما وَعَدَ به من ثوابه، فإنَّ الدُّنْيَا دار زوال، ولا بد من لقاء الله.

\* \* \*

وعَزَّى أَيْضًا رجلاً فقال: إنَّ من كان لك في الآخرة أجرًا، خيرٌ لك  
ممن كان لك في الدُّنْيَا سُرورًا.

\* \* \*

(١) مرى الشيء: استخرجه. وثبع كل شيء: معظمه.

(٢) في بعض الأصول: «أحبه».

وَجَزَعْ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ لَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الْحَسْنِ؛ فَقَالَ لَهُ: هَلْ كَانَ أَبْنُكَ يَغِيبُ عَنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ مَغِيْبُهُ عَنِّي أَكْثَرَ مِنْ حَضُورِهِ؛ قَالَ: فَأَتُرُكَهُ غَائِبًا فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيبْ عَنْكَ غَيْبَةً الْأَجْرُ لَكَ فِيهَا أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْغَيْبَةِ.  
وَعَزَّى رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ مُسْلِمًا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ مِثْلِي لَا يُعَزِّي مِثْلُكَ،  
وَلَكِنْ انْظُرْ مَا زَهَدَ فِيهِ الْجَاهِلُ فَارْغَبْ فِيهِ.

\* \* \*

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَجْلِسِهِ وَعِنْهُ جَمَاعَةٌ، إِذْ سَمِعَ نَاعِيَةً فِي بَيْتِهِ، فَتَهَضُّ إِلَى مَنْزِلِهِ فَسَكَنُوهُمْ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَقَالُوا لَهُ: أَمِنْ حَدَثَ كَانَتِ النَّاعِيَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَعَزَّزُوهُ وَعَجَبُوا مِنْ صَبَرَتِهِ فَقَالَ: إِنَا أَهْلُ بَيْتِ نُطْيِعِ اللَّهِ فِيمَا تُحِبُّ، وَنَخْمَدُهُ عَلَى مَا تَكْرَهُ.

\* \* \*

### تعزية

أَتَتْمَسْ مَا وَعَدَ اللَّهُ مِنْ ثَوَابِهِ بِالتَّسْلِيمِ لِقَضَائِهِ، وَالاِنْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِهِ، فَإِنْ مَا فَاتَ غَيْرُ مُسْتَدِرَّكَ.

\* \* \*

وَعَزَّى مُوسَى الْمَهْدِيُّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَلَمَ عَلَى أَبْنِ لَهُ مَاتُوا، فَجَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، فَقَالَ لَهُ: أَيْسُرُكَ وَهُوَ بَلِيَّةٌ وَفِتْنَةٌ، وَيَخْرُنُكَ وَهُوَ صَلَواتٌ وَرَحْمَةٌ؟

\* \* \*

قَالَ سُفِيَّانُ التَّوْرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ: مَا أُغْطِيَتْ أُمَّةٌ عِنْدَ الْمُصِبَّيَةِ مَا أُغْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ قَوْلِهَا: ﴿إِنَّا لِهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. وَلَوْ أُغْطِيَتْهَا أَحَدٌ لَا يُغْطِيَهَا يَعْقُوبٌ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿يَا أَسَقَا عَلَى يُوسُفَ، وَأَبْيَضْتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾<sup>(۱)</sup>.

(۱) يُوسُفُ: ۸۴ .

وعَزِيْرِيْ رجُلٌ رجلاً بَابِنِ لَهُ: ذَهَبَ وَهُوَ أَصْلُكَ، وَذَهَبَ أَبْنَكَ وَهُوَ  
فَرِعُوكَ، فَمَا بَقَاءَ مَنْ ذَهَبَ أَصْلُهُ وَفَرِعَهُ؟

\* \* \*

## تعازي الملوك

قال العُشَّبي: عَزِيْرِيْ أَكْثَمُ بْنُ صَيْقَنِيْ عُمَرُو بْنُ هِنْدَ مَلِكَ الْعَرَبِ عَلَى  
أَخِيهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيْهَا الْمَلِكُ، إِنَّ أَهْلَ الدَّارِ سَفَرْ لَا يَحْلُونَ عُقْدَ الرِّحَالِ إِلَّا  
فِي غَيْرِهَا، وَقَدْ أَتَاكَ مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ، وَأَرْتَهُ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِمَرْاجِعٍ  
إِلَيْكَ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيَظْعَنُ عَنْكَ وَيَدْعُكَ. وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ:  
فَأَمْسٌ عِظَّةٌ وَشَاهِدٌ عَدْلٌ، فَجَعَلَكَ بِنَفْسِهِ، وَأَبْقَى لَكَ عَلَيْهِ حُكْمَكَ؛ وَالْيَوْمُ  
غَنِيمَةٌ وَصَدِيقٌ، أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ، طَالَتْ عَلَيْكَ غَيْبَتِهِ، وَسُتْرَتْ عَنْكَ رِحْانَتِهِ؛  
وَغَدَ، لَا تَذَرِي مِنْ أَهْلِهِ، وَسِيَّاتِكَ إِنَّ وَجْدَكَ. فَمَا أَحْسَنَ الشُّكْرَ لِلْمُمْئِنِ،  
وَالْتَّسْلِيمَ لِلْقَادِرِ! وَقَدْ مَضَتْ لَنَا أَصْوَلُ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءَ الْفُرُوعِ بَعْدِ  
أَصْوَلِهَا! وَأَعْلَمُ أَنَّ أَعْظَمَ مِنَ الْمُصَبِّيَّةِ سُوءُ الْخَلْفِ مِنْهَا، وَخَيْرُ مِنَ الْخَيْرِ  
مُغْطِيَّهَا، وَشَرُّ مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهَا.

\* \* \*

لما هَلَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورَ، قَدِمَتْ وُفُودُ الْأَنْصَارِ عَلَى أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ، وَقَدِمَ فِيهِمْ أَبُو الْعَيْنَاءِ الْمُحَدِّثِ، فَتَقدَّمَ إِلَى التَّعْزِيَّةِ،  
فَقَالَ: آجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ، وَبِارْكَ لِأَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا خَلَفَهُ لَهُ، فَلَا مُصِبِّيَّةٌ أَعْظَمُ مِنْ مُصِبِّيَّةِ إِمامِ وَالَّدِ، وَلَا عَقْبَيَّ  
أَفْضَلُ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ عَلَى أُولَائِهِ. فَأَقْبَلَ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الْعَطِيَّةِ، وَأَضَبَرَ لَهُ  
عَلَى الرِّزْيَةِ.

\* \* \*

ولما مات معاوية بن أبي سفيان، ويزيد غائب، صلَّى عليه الضحاك

ابن قيس الفهري، ثم قدِمَ يزيد من يومه ذلك، فلم يقدِم أحدٌ على تغريته حتى دخل عليه عبدُ الله بن همام السلوكي، فقال:

اضِبْرُ، يَزِيدُ، فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا مِيقَةَ وَاشْكُرْ جِبَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ حَابَاكَ  
لَا رُزْءَ أَعْظَمُ فِي الْأَقْوَامِ قَدْ عَلِمُوا  
مَا رُزِّيَّتْ وَلَا عَقْبَى كَعْقَبَاكَ  
أَصْبَحَتْ رَاعِي أَهْلَ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ  
فَإِنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَاكَ  
وَفِي مُعاوِيَةِ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ  
إِذَا بَقِيَّتْ فَلَا تَسْمَعُ بِمَئِشَاكَ  
فَافْتَسَحَ الْخُطُبَاءُ الْكَلَامُ.

\* \* \*

عَزِيْ شَبِيْبُ بْنُ شَيْبَةَ الْمَنْصُورَ عَلَى أَخِيهِ أَبِي الْعَبَاسِ، فَقَالَ: جَعَلَ  
الله ثوابَ ما رُزِّيَّتْ بِهِ لَكَ أَجْرًا، وَأَغْبَكَ عَلَيْهِ صَبَرًا، وَخَثَمَ لَكَ ذَلِكَ بِعَافِيَةِ  
تَامَّةٍ، وَنِعْمَةِ عَامَّةٍ، فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ،  
وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ.

\* \* \*

وَكَتَبَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ إِسْحَاقَ إِلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ يُعَزِّيهِ: إِنَّ أَحَقَّ مَنْ  
عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ فِيمَا أَخَذَ مِنْهُ عَرَفَ نِعْمَتَهُ فِيمَا أَبْقَى عَلَيْهِ. يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ هُوَ الْبَاقِي لَكَ، وَالْبَاقِي بَعْدَكَ هُوَ الْمَأْجُورُ  
فِيكَ، وَإِنَّ النِّعْمَةَ عَلَى الصَّابِرِينَ فِيمَا ابْتَلُوا بِهِ أَعْظَمُ مِنْهَا عَلَيْهِمْ فِيمَا يُعَافَوْنَ  
مِنْهُ.

\* \* \*

دخل عبدُ الملك بن صالح دار الرشيد، فقال له الحاجبُ: إِنَّ أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ قد أُصِيبَ بَابِنَ لَهُ وَوْلَدٌ لَهُ آخِرٌ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: سَرَّكَ اللَّهُ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَكَ، وَلَا سَاءَكَ فِيمَا سَرَّكَ، وَجَعَلَ هَذِهِ مَثُوبَةً  
عَلَى الصَّبَرِ، وَجَزَاءُ عَلَى الشَّكْرِ.

وَدَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يُعَزِّيْهَا بِابْنِهِ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أُمَّةً، إِنَّكُ لَمْ تَقْرِبِي إِلَّا رَوَيْتَهُ وَأَنَا وَلِدُكَ مَكَانَهُ؛ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَجُلًا أَفَادَنِي وَلِدًا مِثْلَكَ لَجَدِيرٌ أَنْ أَجْزِعَ عَلَيْهِ.

\* \* \*

لَمَّا ماتَ عَبْدُ الْمَلِكَ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَمَّالِهِ: إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ كَانَ عَبْدًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَيْيَ فِيهِ، أَعَاشَهُ مَا شَاءَ وَقَبَضَهُ حِينَ شَاءَ، وَكَانَ - مَا عَلِمْتُ - مِنْ صَالِحِي شَبَابِ أَهْلِ بَيْتِهِ قِرَاءَةً لِلْقُرْآنِ، وَتَحَرَّرِيَا لِلْخَيْرِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ لِي مَحْبَةٌ أَخَالِفُ فِيهَا مَحْبَةَ اللَّهِ، فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَخْسُنُ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيَّ، وَتَتَابُعُ نَعْمَهُ عَلَيَّ، وَلَا عِلْمَنِي مَا بَكَتْ عَلَيْهِ بَاكِيَةً وَلَا نَاحَتْ عَلَيْهِ نَائِحةً، قَدْ نَهَيْنَا أَهْلَهُ الَّذِينَ هُمْ أَحْقُّ بِالبكاءِ عَلَيْهِ.

\* \* \*

دَخَلَ زِيَادُ بْنُ عُثْمَانَ بْنَ زِيَادٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ تُوفِيَ أَبُوهُ أَيُوبَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ كَانَ يَقُولُ: مَنْ أَحَبَّ البقاءَ - وَلَا بقاءً - فَلْيُوْطُنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَابِ.

\* \* \*

لَمَّا ماتَ مُعاوِيَةَ دَخَلَ عَطَاءَ بْنَ أَبِي صَيْفِيَّةَ عَلَى يَزِيدَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَصَبَحْتَ رُزْنَتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ، وَأُعْطِيْتَ خَلَافَةَ اللَّهِ، فَاخْتَسِبْ عَلَى اللَّهِ أَعْظَمَ الرِّزْيَةِ، وَاشْكُرْهُ عَلَى أَحْسَنِ الْعَطِيَّةِ.

\* \* \*

عَزَّى مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ عَتَّبَةَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعِدْ لَمَا تَرَى عُدَّةً تَكُونُ لَكَ جُنَاحَةً مِنَ الْحُزْنِ وَسِرَّاً مِنَ النَّارِ. فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ رَأَيْتَ حُزْنًا يُخْتَاجُ بِهِ، أَوْ غَفْلَةً يُتَبَّهُ عَلَيْهَا؟

قال: يا أمير المؤمنين، لو أن رجلاً ترك تغزية رجل لعلمه وانتباهه لكتبه،  
ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين.

\* \* \*

وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز، فلما فرغ من دفنهما دنا إليه رجل  
معزاه، فلم يرده عليه شيئاً، ثم دنا إليه آخر معزاه، فلم يرده عليه شيئاً، فلما  
رأى الناس ذلك أمسكوا عنه ومشوا معه. فلما بلغ الباب أقبل على الناس  
بووجهه وقال: أدركت الناس وهم لا يُعزون بامرأة إلا أن تكون أمّا، أنقلبوا  
رحمكم الله.

\* \* \*

وُجد في حائط من حيطان ثبع مكتوب:

أَضِيرْ لِدَفَرِ نَالَ مِنْ مَكْ فَهَكَذَا مَضَتِ الْدُّهُورُ  
فَرَخْ وَحُزْنٌ مَرَّةٌ لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا السُّرُورُ

وهذا نظير قول العتابي:

وَقَائِلَةٌ لِمَا رَأَتِنِي مُسَهَّدًا كَأَنَّ الْحَشَاءَ مِنِي تُلَدَّعُهُ الْجَمْرُ  
أَبْاطِنَ دَاءٍ أَمْ جَوَى بَكَ قَاتِلٌ فَقَلَّتِ الْذِي بَيْ مَا يَقُومُ لَهُ صَبَرٌ  
تَفَرَّقَ إِلَآفٌ وَمَوْثُ أَحِبَّةٍ وَفَقَدْ ذَوِي الْإِفْضَالِ قَالَتْ: كَذَا الدَّهْرُ

\* \* \*

كتب محمد بن عبدالله بن طاهر إلى المُتوكِل يُعزيه بابن له:

إِنِّي أُعْزِيكَ لَا أُنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَلَكِنَ سُئَّلَ الَّذِينَ  
لَيْسُ الْمُعْزَى بِبَاقِي بَعْدِ مَيْتَهُ وَلَا الْمَعْزِي وَإِنْ عَاشَ إِلَى حِينٍ

وقال أبو عَيْنَةَ :

فِإِنْ أَشْكُّ مِنْ لَيْلِي بِجُرْجَانَ طُولَهُ  
فَقَدْ كُنْتَ أَشْكُو مِنْهُ بِالْبَصَرَةِ الْقِصْنَزِ  
وَقَائِلَةً مَاذَا نَأَى بِكَ عَنْهُمْ فَقَلَتْ لَهَا لَا عِلْمَ لِي فَسَلَّيَ الْقَدَرُ

\* \* \*

وقال بعض الْحُكَمَاءِ لِسُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِمَا أُصِيبَ بْنَ أَيُوبَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ مَثْلَكَ لَا يُوَعَظُ إِلَّا بِدُونِ عِلْمٍ ، فِإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقْدُمَ مَا  
أَخْرَتَ الْعَجَزَةَ مِنْ حُسْنِ الْعَزَاءِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمُصِبَّةِ فَتُرْضِيَ رَبَّكَ وَتُرِيحَ  
بِدُنْكَ ، فَافْعُلْ .

\* \* \*

وَكَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُعَزِّيهِ فِي أَبْنَهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِيَتِ  
شِعْرٍ وَهُوَ :

وَعُوْضَتْ أَجَرًا مِنْ فَقِيدٍ فَلَا يَكُنْ فَقِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجَرُكَ يَذْهَبُ

\* \* \*

وَلَمَّا حَضَرَتِ الإِسْكَنْدَرُ الْوَفَاءَ كَتَبَ إِلَى أُمِّهِ : أَنْ أَصْنَعَيْ طَعَامًا  
يَحْضُرُهُ النَّاسُ ، ثُمَّ تَقْدِمِي إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَأْكُلُ مِنْهُ مَخْزُونٌ ، فَفَعَلَتْ . فَلَمْ  
يَنْسُطْ إِلَيْهِ أَحَدٌ يَدِهِ ، فَقَالَتْ : مَا لَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ؟ فَقَالُوا : إِنَّكَ تَقْدَمْتِ إِلَيْنَا  
أَنْ لَا يَأْكُلَ مِنْهُ مَخْزُونٌ ، وَلَيْسَ مَنَا إِلَّا مِنْ قَدْ أُصِيبَ بِحَمِيمٍ أَوْ قَرِيبٍ ؟  
فَقَالَتْ : ماتَ وَاللَّهُ أَبْنِي وَمَا أَوْصَى إِلَيْيَ بِهِ إِلَّا لِيُعَزِّيْنِي بِهِ .

\* \* \*

وَكَانَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ يَقُولُ فِي تَغْزِيْتِهِ : إِنَّ التَّهْنِيَّةَ بِأَجْلِ الثَّوَابِ  
أَوْجَبُ مِنَ التَّعْزِيَّةِ عَلَى عَاجِلِ الْمُصِبَّةِ .

\* \* \*

الباب الثامن

## متفرّقات

نظرت امرأة إلى جعفر بن يحيى مصلوياً، فقالت:  
- لئن كنتَ في الحياة غاية، فلقد صرتَ في الممات آية!

\* \* \*

لما مات الاسكندر وقف عليه أرسطوطاليس، فقال:  
- طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً، وما وعظ بموعظة في حياته  
أبلغ من عظته في مماته.  
وتحمل إلى أمه في تابوت من ذهب، فقالت:  
- جمعت الذهب حياً، وجمعك ميتاً.

\* \* \*

سأل أزدشير بعض الحكماء عن دار بناتها، فقال:  
- هل ترى فيها عيّباً؟  
فقال الحيكل:  
- نعم، عيّباً لا يمكنك إصلاحه.  
فقال أزدشير:  
- وما هو؟

فقال الحكيم:

لَكَ مِنْهَا خَرْجَةٌ لَا عُودَ بعدها، أو دخْلَةٌ لَا خُروجَ بعدها.

\* \* \*

قيل لـ الحكيم:

- ما أبعد الأشياء من الناس؟

- قال: الأمل.

فقيل:

- وما أقرب الأشياء منهم؟

- فقال: الأجل.

\* \* \*

عاش نوح، عليه السلام، ما عاش، وقيل له لما أشرف على الموت:

- كيف وجدت الدنيا؟

فقال: وجدتها دارا دخلتها من باب، وخرجت من آخر.

\* \* \*

قيل: إن عبد الملك بن مروان هرب من الطاعون، فركب ليلاً، وأخرج غلاماً معه، وكان ينام على دابته، فقال للغلام: حدثني.

فقال الغلام:

- ومن أنا حتى أحذثك؟

فقال عبد الملك:

- على كل حال حدث حديثاً سمعته.

فقال الغلام:

- بلغني أنّ ثعلبًا يخدم أسدًا ليحميه ويمنعه ممّن يريده، فكان يحميه، فرأى الثعلب عقابًا، فلجأ إلى الأسد، فأقعده على ظهره، فانقض العقاب واحتلسه، فصاح الثعلب: يا أبا الحارث، أغثني، واذكّر عهدي لي. فقال الأسد: إنّما أقدر على منعك من أهل الأرض، وأمّا أهل السماء فلا سبيل لي إليهم.

فقال: عبد الملك: وعظتني، وأحسنت، ورضي بالقضاء.

\* \* \*

قيل لفيلسوف:

- مات فلان في غربة.

فقال: ليس بين الموت في الوطن والغربة فضل، لأنّ الموت في جميع المواقع واحد، والطريق إلى الآخرة من كلّ مكان سواء.

\* \* \*

يروى أن الإسكندر مرّ بمدينة قد ملكها غيره من الملوك، فقال:

- انظروا، هل بقي بها أحد من نسل ملوكها؟

فقالوا: رجل يسكن المقابر.

فأحضره، وسأله عن إقامته، فقال:

- أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدتها سواء.

فقال: هل تتبعني، فأحivi شرفك إن كان لك همة؟

فقال: همتّي عظيمة إن ألتنتها.

فقال الإسكندر: وما هي؟

فقال الرجل: حياة لا موت معها، وشباب لا هرم معه، وغنى لا فقر معه، وسرور لا مكرره فيه.

فقال: ليس عندي هذا.

فقال: دعني ألتمسه ممن هو عنده.

فقال الإسكندر: ما رأيت مثله حكيمًا.

\* \* \*

قال الحسن لشيخ في جنازة:

- أترى هذا الميت لو رجع إلى الدنيا كان يعمل صالحًا.

قال: نعم.

فقال الحسن: إن لم يكن ذاك، فكُنْ أنتَ ذاك.

\* \* \*

قال رجل لأبي الدرداء:

- ما بالنا نكره الموت؟

فقال: لأنكم خربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تُنقلوا من العمران إلى الخراب.

\* \* \*

اعتلّ أعرابي، فقيل له: لو تبت؟

فقال: لست ممن يعطي على الذلّ، إن عافاني الله تبت وإلا مت هكذا.

\* \* \*

اعتل الحجاج، فقيل له: ألا ترث؟

قال:

- إن كنت مسيئاً فليس هذه ساعة التوبة، وإن كنت محسناً فليس

ساعة الفزع.

\* \* \*

لما حضرت وكيعا الوفاة، دعا بنيه، قال:

- يا بنى، إن قوماً سيأتونكم قد قرحو جباهم، وعرضوا لحاهم،  
يدعون أن لهم عند أبيكم ديناً فلا تقصوهم، فإن أباكم قد حمل من الذنب  
ما إن غفرها الله لم تضره هذه، وإن فهي معها.

\* \* \*

لما حضر بشرًا الموت، فرَحَ، فقيل له:

- تستبشر بالموت؟!

قال: أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي على مخلوق  
أخافه؟

\* \* \*

شوهد رجل على قبر وهو يُكثر البكاء، فقيل له: أعلى قريب أو أعلى  
صديق؟ قال:

- على أخصّ منهما، فقد كان لي عدو، فخرج إلى الصيد، فرأى  
ظبياً، فتبعه، فعثر بالسهم، فخرّ هو والظبي ميتين، فدُفِنَ، فانتهيت إلى  
قبره شامتاً به، فإذا عليه مكتوب:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا أقمنا قليلاً بعدهم وترحلوا  
فها أنا واقف أبكي على نفسي.

قال هارون الرشيد لابن السمак: عظني.

وكان بيده شربة ماء فقال له: يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم. قال: يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم. فقال له: لا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة. وقال ابن شبرمة: إذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام، وإذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعضة.

\* \* \*

روي أن داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسبح في الجبال إذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقي على ظهره، وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه: أنا دوسن الملك تملكت ألف عام، وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش وفضضت ألف بكر من بنات الملوك، ثم صرت إلى ما ترى التراب فراشي، والحجر وسادي، فمن رأني فلا تغره الدنيا كما غرّتني.

\* \* \*

قال وهب بن منبه: خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك. فقالوا يا نبي الله إنا جياع. فأوحى الله تعالى إليه أن أئذن لهم في قوتهم. فأذن لهم، فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون. فيبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزرع يقول: زراعي، وأرضي ورثتها من أبي وجدي، فيياذن من تأكلون يا هؤلاء؟ قال: فدعا عيسى ربَّه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم إلى تلك الساعة، فإذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون: أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا، ففتر الرجل منهم، وكان قد بلغه أمر عيسى، ولكن لا يعرفه. فلما عرفه قال: معدرة إليك يا نبي الله، إني لم أعرفك، زراعي ومالي حلال لك، فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال: ويحك، هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارحلوا عنها، وأنت

مرتحل عنها، ولا حقّ بهم ليس لك أرض ولا مال.

\* \* \*

قال وهب بن منبه: أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن، وكان من الملوك الأجلة مكتوبًا بالقلم المسندي، فترجم بالعربي فإذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهي هذه الأبيات:

باتوا على قلٍّ الأجيالٍ تحرُّسُهُمْ      غالب الرجالِ فلم تنفعهم القَلْلُ  
واسْتَرْزَلُوا من أعلى عزٍّ معقلَهُمْ      فأسكنُوا حفرةً يا بشَّ ما نزلوا  
ناداهُمْ صارخٌ من بعدهما دُفِنوا      أين الأسرةُ والتيجانُ والجَلْلُ  
أين الوجوهُ التي كانت محجَّةً      وكان من دونها الأستارُ والكِلْلُ  
فأفضَّحَ القبرُ عنهم حين ساءلُهُمْ      تلك الوجوهُ عليها الدودُ يُفْتَلُ  
قد طالما أَكَلُوا دهرًا وما شرِبُوا      فأصبحُوا بعد ذاك الأكلِ قد أَكَلُوا

\* \* \*

وروي أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب في بعض سياحاته، فأصابهما الجوع وقد انتهيا إلى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاماً من هذه القرية، وأعطاه ما يشتري به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد يتضرر انتصار عيسى من الصلاة، فأبطنَ عليه فأكل رغيفاً، وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى الأرغفة ثلاثة، فلما انصرف من صلاته لم يوجد إلا رغيفين. فقال له أين الرغيف الثالث؟ فقال الرجل ما كان إلا رغيفين، فأكلاهما ثم مرا على وجههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحداً منها، فجاءه فذakah وأكلها منه، فقال له عيسى: بالذى أراك هذه الآية من أكل

الرغيف الثالث؟ فقال ما كان إلا اثنين. ثم مرا على وجههما حتى جاءا  
 قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية، فأنطق الله  
 له لبنة فسألها عيسى، فأخبرته بكل ما يراد وصاحبه يتعجب مما رأى، فقال  
 له عيسى : بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال ما كانا  
 إلا اثنين. فمرا على وجههما حتى انتهيا إلى نهر عجاج، فأخذ عيسى  
 عليه الصلاة والسلام بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوزا النهر،  
 فقال الرجل : سبحان الله! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : بالذي أراك  
 هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال ما كانا إلا اثنين. فمرا على  
 وجههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منها ثلات لبيات عظام  
 وقيل ثلات أكواام من الرمل، فقال لها كوني ذهبا بإذن الله فكانت، فلما  
 رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى : نعم واحدة لي، وواحدة لك،  
 وواحدة لصاحب الرغيف الثالث. فقال الرجل : أنا صاحب الرغيف  
 الثالث. فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : هي لك كلها. ثم فارقه عيسى.  
 وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر، فقتلوه. فقال  
 اثنان منهم للثالث : انطلق إلى القرية فأتنا ب الطعام فانطلق، فلما غاب قال  
 أحدهما للأخر إذا جاء قتلناه، واقسمنا المال بيننا. فقال الآخر : نعم، وأما  
 الذي ذهب ليشتري الطعام، فإنه أضمر لصاحبيه السوء. وقال أجعل لهما  
 في الطعام سماً فإذا أكلاه ماتا وأخذ المال لنفسي، فوضع السم في الطعام  
 وجاء فقاما إليه فقتلاه، وأكلوا الطعام فماتا. فمر بهم عيسى عليه الصلاة  
 والسلام وهم مصروعون حولها. فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها.

\* \* \*

وقال الهيثم بن عدي : وجد غار في جبل لبنان زمن الوليد بن عبد  
 الملك وفيه رجل مسجى على سرير من ذهب، وعند رأسه لوح من الذهب  
 أيضاً مكتوب فيه بالرومية : أنا سباً بن نواس خدمت عيسى بن اسحاق بن  
 إبراهيم خليل الرب الأكبر، وعشت بعده دهراً طويلاً، ورأيت عجباً كثيراً،  
 ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت، وهو يرى مصارع آبائه

ويقف على قبور أحبابه، ويعلم أنه صائر إليهم، ثم لا يتوب، وقد علمت أن الأجلاف الجفاة يستنزلونني عن سريري، ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان، ويترأس الصبيان. فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلاً ومات ذليلاً.

\* \* \*

قال عمرو بن ميمون: افتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه: أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشاً، وأقسامهم قلباً، وأطولهم أملاً، وأحرصهم على الدنيا، قد ملكت البلاد، وقتلت الملوك، وهزمت الجيوش، وأذلت الجبارية، وجمعت من الأموال ما لم يجمعه أحد قبلي، ولم أستطع أن أفتدي به من الموت إذ نزل بي.

\* \* \*

روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينما هو في سياحته إذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله في أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت: يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد، وافتضضت ألف بكر، وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة، فما كان كل ذلك إلا كحلم النائم. فمن سمع قصتي فلا يغتر بالدنيا، فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديداً حتى غشي عليه.

\* \* \*

حكي أن رجلين تنازعا في أرض، فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الأرض فقالت: إني كنت ملكاً من الملوك، ملكت الدنيا ألف سنة، ثم صرت رمياً ألف سنة، ثم أخذني خراف وعملني إماء، فاستعملت ألف سنة، حتى تكسرت وصرت تراباً، فأخذني وعملني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا وكذا سنة، فلِمَ تتنازعان في هذه الأرض،

وأنتم عنها زائلون وإلى غيرها متقلبون.

\* \* \*

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبراً. فقال قبر من هذا؟ فقالوا قبر خباب بن الأرت فوقف عليه وقال: رحم الله خباباً أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه آخرًا ألا وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ثم مشى فإذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع، ويكم عما قليل لاحقون. اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عننا وعنهم، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب، وقنع بالكافاف ورضي عن الله تعالى.

\* \* \*

قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: ما عندك من ذكر الموت يا أبو حفص؟ قال: أُمسِي فما أرَى أَنِّي أَضْبَحْ، وأَضْبَحْ فما أَرَى أَنِّي أُمْسِي؟ قال: الْأَمْرُ أَوْشَكَ مِنْ ذَلِكَ أَبَا حَفْصَ، أَمَا إِنَّهُ يَخْرُجُ عَنِّي نَفْسِي فَمَا أَرَى أَنَّهُ يَعُودُ إِلَيَّ.

\* \* \*

قال أبو عمرو بن العلاء: لقد جلست إلى جرير وهو يُملِّي على كاتبه:

\* وَدَعَ أُمَّامَةَ حَانَ مِنْكَ رَجِيلٌ \*

ثم طلت حِنَازَةً فَأَمْسِكَ وَقَالَ: شَيَّشَنِي هَذِهِ الْجَنَاثَ؛ قَلَتْ: فَلِمَ تَسْبِّ النَّاسَ؟ قَالَ: يَئِدُّونِي ثُمَّ لَا أَعْفُوْ، وَأَعْتَدِي وَلَا أَبْتَدِي. ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ:

تُرَوْعَنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ فَتَلْهُو حِينَ تَذَهَّبُ مُذْبَرَاتٍ  
كَرْوَعَةٌ هَجْمَةٌ لِمَغَارٍ سَبْعٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتٍ

\* \* \*

# فهرس المحتويات

## صفحة

المقدمة .....	٥
الباب الأول: من الدين	٧
- الفصل الأول: من الديانة الإسلامية.....	٩
- الفصل الثاني: من الديانة المسيحية.....	١٣
- الفصل الثالث: من الديانات الهندية.....	١٤
الباب الثاني: من الأمثال	١٧
- الفصل الأول: من الأمثال العربية.....	١٩
- الفصل الثاني: من الأمثال العالمية.....	٢١
- الفصل الثالث: من الأمثال اللبنانية.....	٢٣
الباب الثالث: من الحكمة	٢٥
- الفصل الأول: من أقوال الحكماء العرب .....	٢٧
- الفصل الثاني: من أقوال الحكماء الأجانب .....	٣١
- الفصل الثالث: من أقوال الشعراء العرب .....	٣٨
الباب الرابع: عند الاحتضار	٤٩

٥٩	الباب الخامس: عند القبر
-	
٦١ .....	الفصل الأول: القول عند المقابر .....
-	
٦٣ .....	الفصل الثاني: الوقوف على القبور وتأبين الموتى .....
-	
٧١ .....	الفصل الثالث: ما كتب على القبور .....
bab السادس: في الرثاء	
٧٧	
-	
٧٩ .....	الفصل الأول: في رثاء الذات .....
-	
٨٣ .....	الفصل الثاني: في رثاء الولد .....
-	
٩٢ .....	الفصل الثالث: في رثاء الأخ .....
-	
١٠٠ .....	الفصل الرابع: في رثاء الزوجة .....
-	
١١٣ .....	الفصل الخامس: في رثاء الزوج .....
bab السابع: في التعازي .....	
١١٥ .....	
bab الثامن: متفرقات .....	
١٢٩ .....	

# سلسلة «أروع ما قيل»

أروع ما قيل في الوصف	أروع ما قيل في الاجتماعيات
أروع ما قيل في الوطنية	أروع ما قيل في الإخوانيات
أروع ما قيل من الأدعية	أروع ما قيل في الحب والغزل
أروع ما قيل من أغان وأشعار للأطفال	أروع ما قيل في الحكمة
أروع ما قيل من الأمثال	أروع ما قيل في الحمراء ومحالسها
أروع ما قيل من الحكايات ٢/١	أروع ما قيل في الرثاء
أروع ما قيل من الخطيب	أروع ما قيل في الزهد والتصوف
أروع ما قيل من الرباعيات	أروع ما قيل في الزواج
أروع ما «كتب» من الرسائل	أروع ما قيل في الفخر والحماسة
أروع ما قيل من الطرافف	أروع ما قيل في المديح
أروع ما قيل من قصص العشاق ٢/١	أروع ما قيل في المرأة
أروع ما قيل من الموشحات	أروع ما قيل في الموت
أروع ما قيل من التوادر	أروع ما قيل في الهجاء
أروع ما قيل من الوصايا	أروع ما قيل في الوجودانيات

**To: www.al-mostafa.com**